الدلائل والبراهين
على نفي موهم الاختلاف والتناقض
عن آيات القرآن المبين

تأليف
الدكتورة/ حصه أحمد عبدالله الغزال
أستاذ مساعد بقسم أصول الدين
كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

المقدمة

الحمد لله الذي أوضح لنا سبل الرشاد وهدانا بضياء ونور الكتاب الذي أنزله قيمًا مفصلاً بينًا متآلقًا متوافقًا : ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ (١) ، ولا نقصًا ولا خللاً.

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (٢).

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله تعالى هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وأنزل عليه القرآن العظيم كتابًا عربيًا مبينًا ، وصرف فيه من الآيات والدلائل والبراهين الدالة على كونه ﷺ نبيًا مصطفى مختارًا ورسولاً مرسلاً من عند ربه عز وجل لهداية الخلق إلى الحق وإلى الطريق المستقيم وهو دين الإسلام.

وبعد

فإن الإسلام منذ مطلع فجره وشروق شمسه وظهور نشأته يواجه حربًا شعواء مادية بالجنود والسلاح في ساحات القتال والمواجهة بين حزب الله المسلمين وبين حزب الشيطان الكفار والمشركين.

وحربًا فكرية بما يبثه ويشيعه أعداء الله عز وجل والمسلمين من شكوك وشبهات قصدًا منهم إلى صد الناس عن الدخول في الإسلام وإضعاف قوة الإسلام وإطفاء نوره في قلوب المسلمين والمؤمنين المخلصين.

فعلى مدار تاريخ الإسلام في كل عصر ومصر يواجه الإسلام بالغزوات الفكرية والتشكيكات العقلية ، فقد تكرر قولهم بأن القرآن سحر وأن صاحبه ساحر مجنون وأنه أساطير الأولين، وأن القرآن أقوال اختلقها محمد ﷺ من عند نفسه ، وأنه أخذه من اليهودية والنصرانية، وأن القرآن قد لحقه نقص أو لحقته زيادة ، وأن آياته متناقضة مختلفة مضطربة ، وغير ذلك من أقوالهم المكذوبة المفتراة النابعة من حقدهم وحسدهم للإسلام والمسلمين ، وهم يهدفون من وراء ذلك إطفاء نور الإسلام والانتقاص من قيمته والحط من رتبته وهز ثقة المسلمين في أصل دينهم وأساس إسلامهم ومناط يقينهم وإشاعة وغرس البلبلة الفكرية في عقول ونفوس المسلمين حتى يتحولوا عن دينهم ويرتدوا عن إسلامهم وينسلخوا

---

(١) سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية ١.
(٢) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآية ٤٢.

من عقيدتهم فيصبحوا نهبًا لأغراضهم وأطماعهم.

ولما كان الله عز وجل وعد وعدًا مؤكدًا بحفظ كتابه القرآن العظيم ، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١] فقد حقق هذا الوعد الصادق المؤكد بأن وجه وسخر العلماء والمفكرين من المسلمين ومن غيرهم للتصدي لهذه الشبهات ودحض تلك الافتراءات وإبطال هذه المبطلات التي اختلقوها وأشاعوها ، بما أظهروه وأوضحوه من الدلائل القرآنية البينة والبراهين العقلية القويمة.

والمتتبع لأكاذيب وافتراءات أعداء الإسلام يجد أن أقوى شبهاتهم التي روجوا لها كثيرًا وأذاعوها وأشاعوها هي قولهم : إن القرآن قد تضمنت آياته ونصوصه اختلافًا وتناقضًا واضطرابًا وهذا يدل على أنه ليس من عند الله ، وإنما هو من كلام محمد ﷺ اختلقه من عند نفسه.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهلهم وعمي بصيرتهم وأبصارهم وأفول عقولهم وضحالة أفكارهم.

لأن القرآن العظيم البليغ المعجز كلام الله عز وجل المعجز.

لا يقدر الخلق جميعًا أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ [٢]

ولا يعرف عظمة القرآن ويفهم مضامينه إلا العلماء الذين تمكنوا من العلوم العربية والإسلامية التي بها يستطيعون معرفة مفاهيم القرآن ومراداته.

(فإنما يعرف "فضل القرآن" من كثر نظره واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله تعالى به لغتها دون جميع اللغات. فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة[٣] ، والبيان ، واتساع المجال ، ما أوتيته العرب خصيصي من الله عز وجل ، لما أرهصه[٤] في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب ،

---

(١) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٩.

(٢) سورة الإسراء ، رقمها ١٧ : الآية ٨٨.

(٣) العارضة : قوة الكلام وتنقيحه ، والرأي الجيد.
– لسان العرب ، لابن منظور ، ٤٣/٩.

(٤) أرهصه : أي جعله معدًا للخير ، والإرهاص : الإثبات
– لسان العرب ، لابن منظور ، ٢١٠/٨.

فجعله علمه ، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه) [١].

ومن ثم كانت مسئولية الأمانة الواجبة المحتمة علينا أن نقوم بتبديد ظلمات هذه الشبهات والتهم والتشكيكات بما بين أيدينا وما عندنا من براهين القرآن المجيد وأنوار علمه السديد والدلائل العقلية القاطعة بأن القرآن العظيم كله سلسلة واحدة متصلة الحلقات محكمة متقنة السور والآيات متآخية المبادئ والغايات مهما تعددت طرق قراءاته ومهما تنوعت فنون أدائه وتصريفاته ، وهذا ما استحثني وشحذ عزمي على دراسة موضوع "موهم التناقض والاختلاف في القرآن الكريم".

ولكني عندما توجهت همتي إلى ذلك وجدت أن فكري وعقلي وعلمي لا يسعفني إلى لمّ شتات هذا الموضوع الشيق الشائك المتعدد الجوانب الواسع العميق.

فهداني الله تعالى إلى سلوك سبيل الواقف على شواطئه أنهل من معين علم العلماء السابقين وأرتشف من فيض معارفهم ما يجعلني قادرة على تقديم أثارة من علم تشبع تطلع المسلمين المخلصين وتدرأ وتبطل وتصد كيد الكائدين المتربصين الشاكين المشككين في الإسلام وأصل أصوله القرآن المبين.

ووفقني الله تعالى لتسمية بحثي هذا :

"الدلائل والبراهين على نفي موهم الاختلاف والتناقض عن آيات القرآن المبين"

وقد تناولت في هذا البحث الجوانب الآتية :

المبحث الأول : التعريف بموهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : النتاج العلمي في توجيه موهم الاختلاف والتناقض بين آيات القرآن الكريم.

المبحث الثالث : الأسباب الموهمة للاختلاف والتناقض بين آيات القرآن الكريم.

المبحث الرابع : الدلائل والبراهين على نفي موهم الاختلاف والتناقض عن القرآن الكريم.

والله أسأل أن يسدد خطاي على الصراط المستقيم ، وأن يجعل

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ص١٢ ، بتصرف يسير.

عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يستر ما لحقه من نقص وقصور ، وأن يظهر كل ما تضمنه من حق وصحة وسداد.

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (١)

(١) سورة هود ، رقمها ١١ : الآية ٨٨.

المبحث الأول
التعريف بموهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم

هو توهم الاختلاف والتناقض والاضطراب بين آيات القرآن الكريم ذات الموضوع الواحد. يظنه الجاهل باللغة العربية ويتوهمه المبتدئ في معرفة أساليبها.

يقول الزركشي : (وهو ما يوهم التعارض بين آياته) (١).

وتوضيح ذلك أن نقول : هي النصوص التي يظن الناظر فيها لأول وهلة أنها متخالفة أو متضاربة ، كأن يرد نفي شيء في أحد المواضع ، ويقع إثباته في موضع آخر.

أو يخبر عن شيء بخبر في أحد المواضع ، ويخبر عنه في موضع آخر بخبر آخر بحيث يصعب على من قل فهمه الجمع بينهما ، فيتوهم وقوع اضطراب في النصوص بسبب ذلك.

الحاصل أن كل ما أوهم التعارض بين الآيات فهو من موهم الاختلاف والتضارب والتناقض (٢).

وقد حصر العلماء المتقدمون الكلام عن موهم الاختلاف والتناقض في مُشْكله ولكنني أرى أن ذلك يقع في الجوانب الآتية :

١- في القراءات.
٢- المتشابهات اللفظية.
٣- المتشابهات التي تقابل المحكمات.
٤- مشكل القرآن.
٥- ما غمض وخفي معناه.

فإن هذه الجوانب هي التي كانت سببًا وداعيًا إلى ظن وإيهام التناقض والاختلاف عند أعداء الإسلام والمغالطين من أهل الإلحاد والزندقة ، وهذا ما يفهم من مطالعة كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة.

فهذه أهم الجوانب التي ينشأ فيها إيهام الاختلاف والتناقض ، ومن هنا كان اهتمام العلماء بتوجيه القراءات الواردة في اللفظ الواحد أو الكلمة

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٢/٤٥.
والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٧٩.
(٢) انظر المرجعين السابقين ،
وقواعد التفسير ، لخالد بن عثمان السبت ، ٢/٦٩٦.

الواحدة ، وبيان وجه التوفيق بين القراءات فيها.

وخلصوا من ذلك إلى أن تعدد القراءات لها فوائد وحكم كثيرة ، منها تنوع البراهين الساطعة والأدلـــة القاطعة على أن القرآن كلام الله عز وجل وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ.

فإن هذه الاختلافات في القراءة لا تؤدي إلى تناقض ولا اختلاف في المقروء بل تفيد تعدد الإعجاز فتنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البيان المعجز.

كما اهتم العلماء بتوجيه المتشابهات اللفظية وهي الآيات التي تكررت في القرآن الكريم بألفاظ متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين ، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان[١].

فعسر على الجاهل بالبيان القرآني فهمها .

(وظن الغافل عن التدبر ، والمخلد إلى الراحة عن التفكر ، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها لسبب يقتضيه وداع من المعنى يستدعيه ، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك مُرَجِّحات من المعاني عند ذوي الأفهام ، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب في ذلك المعجز العلي من النظام) [٢].

كما اهتم العلماء بتوضيح "مشكل القرآن" والمقصود به ما دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله.

(ثم قد يقال لما غَمُضَ – وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة – مُشْكِل) [٣].

وهذا التوهم لا يقع إلا للجاهل باللغة العربية ومن ضعف فهمه لأساليبها وفنون تصاريفها للكلام فهذا ولا شك يؤدي إلى عدم فهمه لمراد الله تعالى من آياته البينة الحكيمة.

ومن ثم فقد اهتم العلماء منذ صدر الإسلام إلى توجيه هذه الجوانب

---

(١) انظر مقدمة كتاب: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة البيان ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، وهذا الكتاب مطبوع تحت اسم "أسرار التكرار في القرآن " ، ص ١٧ ، ١٨.

(٢) انظر مقدمة كتاب : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لأحمد بن الزبير الغرناطي ، ٣/١.

(٣) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ص١٠٢.

الموهمة للاختلاف والتناقض فكان من مظاهر اهتمامهم ما أوضحه في المبحث التالي.

المبحث الثاني
النتاج العلمي في توجيه موهم الاختلاف والتناقض بين آيات القرآن الكريم

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على رسول الله ﷺ محمد بن عبدالله النبي العربي القرشي الأصيل ، مخاطبًا للعرب الذين كانوا غاية في الفصاحة والبلاغة والبيان.

ففهم الرسول ﷺ ما ألقي إليه من وحي حكيم ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم آيات القرآن العزيز بما لديهم من معرفة باللسان العربي.

وفهمه غيرهم من المشركين الذين كانوا يتربصون به الدوائر ويبحثون عن مغمز فيه أو وجهًا للطعن يستندون إليه في صدهم عنه وإبعاد الناس عن الإيمان به فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، وهذا ما ألجأهم إلى أن يقولوا : إنه سحر أو أساطير الأولين. فلم يحك لنا التاريخ ولم تذكر كتب السيرة عن المشركين ألد أعداء الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ أنهم قالوا : إنه مختلف أو مضطرب أو متناقض.

لأنهم بما يعرفون من فنون اللغة العربية وبيانها وقفوا على بلاغة القرآن التي لا يصل إليها أي إنسان مهما كان وعرفوا قوة نظمه وتناسق آياته وتآلف موضوعاته وفصاحة ألفاظه وقوة معانيه وجمال أسلوبه وكمال تصرفات القول فيه.

وقد ظل الأمر على ذلك إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدى رسالة ربه تامة كاملة وافية بكل أمانة وصدق.

وبعده ﷺ دخل كثير من أهل الديانات واللغات الأخرى الإسلام.

كانت عقولهم قاصرة عن فهم القرآن العظيم والوقوف على وجوه إعجازه البلاغي وسموّه البياني المعجز.

أو لعل الأمر استمر على ذلك في عهد أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى أن وقعت الفتنة الكبرى بقتل عثمان رضي الله عنه.

وفي تيه ظلام الفتنة وما تبعها من انشقاق وتمزق وانفصال في الصف الإسلامي بدأ أعداء الإسلام والمشككون فيه يختلقون الشبهات ويبتدعون الأقوال المرجفة والأكاذيب الضالة ليشككوا في الإسلام وفي أصله الأول القرآن العظيم.

وقد ظهر ذلك ووضح من "مسائل نافع بن الأزرق"[١].
وإجابات ابن عباس عنها.

وهي مذكورة في كتب علوم القرآن[٢]، ومبثوثه في كتب التفسير[٣] والحديث[٤].

(قال عبدالرزاق في تفسيره : أنبأنا معمر عن رجل ، عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : أرأيت أشياء تختلف عليّ من القرآن ؟

فقال ابن عباس : ما هو ؟ أشك في القرآن ؟

---

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي الحروري ، رأس الأزارقة ، وإليه نسبتهم ، كان أمير قومه وفقيههم ، من أهل البصرة ، صحب في أول أمره عبدالله بن عباس ، وله "أسئلة" ، رواها عنه مجموعة في جزء أخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على "عثمان" ، ووالوا "عليًا" ، إلى أن كانت قضية "التحكيم" بين علي ومعاوية ، فاجتمعوا في "حروراء" وهي قرية من ضواحي الكوفة ، ونادوا بالخروج على عليّ ، وعرفوا بذلك ، هم ومن تبع رأيهم بالخوارج، وكان قتله في جمادى الآخرة ، سنة خمس وستين.
- انظر الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ٨/٣١٥-٣١٦/ط٢.
- ولسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، ٧/ رقم ٨٨٤٨/ ٢٠٧.
- وميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، ٤/ رقم ٨٩٩١ / ٢٤١.
- وتاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ٣/٣٧٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٢٤-٤٢٥.

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٢/٥٥-٨٨/ ط٣ ، دار التراث ، القاهرة.
- والبرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ١/٢٩٣. منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت.
- والإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" ، ٢٧٨/٥٠٦.

(٣) انظر الكشاف ، للزمخشري ، ٤/١٤٢-١٤٣ ، مطبعة مصطفى الحلبي.
- وتفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، ٥/٥١٥، ط٢ ، دار الفكر ، ١٩٨٣م.
- والتفسير البياني للقرآن الكريم ، للدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" ، ١/ ١٧٧، ط٦.

(٤) انظر المعجم الكبير ، للطبراني ، ١٠/ رقم ١٠٥٩٧/٢٤٨- ٢٥٦ ، ط٢.
- ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، ٩/٢٧٨-٢٨٤.

قال : ليس بشك ، ولكن اختلاف.

قال : فهات ما اختلف عليك من ذلك.

قال : أسمع الله حيث يقول : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾[١].

وقال : ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾[٢] ، فقد كتموا ، قال : وماذا؟

قال : أسمعه يقول : ﴿ فلا أنساب بينهم يؤمئذ ولا يتساءلون ﴾[٣]

وقال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾[٤].

وقال : ﴿أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ..﴾ حتى بلغ ﴿طائعين﴾[٥]

وقال في الآية الأخرى:﴿ أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها﴾[٦]

ثم قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾[٧]

قال : أسمعه يقول : ﴿كان الله ﴾ ما شأنه يقول : ﴿وكان الله﴾ ؟

فقال ابن عباس :

أما قوله:﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ، ولا يغفر شركًا ، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون ، فقالوا : ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ رجاء أن يغفر لهم ، فختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

فعند ذلك ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثًا[٨]﴾[٩]

---

(١) سورة الأنعام ، رقمها ٦ : الآية ٢٣.
(٢) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٤٢.
(٣) سورة المؤمنون ، رقمها ٢٣ : الآية ١٠١.
(٤) سورة الطور ، رقمها ٥٢ : الآية ٢٥.
(٥) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآيات ٩-١١.
(٦) سورة النازعات ، رقمها ٧٩ : الآيتان ٢٧ ، ٢٨.
(٧) سورة النازعات ، رقمها ٧٩ : الآية ٣٠.
(٨) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٤٢.
(٩) تفسير القرآن الكريم ، لعبد الرزاق الصنعاني ، ١/١٦٠-١٦١.
- وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة "فصلت" ، ٦/ ١٥٩-١٦٠.

إلى آخر ما قاله ابن عباس إجابة عن هذه الأسئلة.

قال ابن حجر في شرحه : (حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع :

الأول : نفي المساءلة يوم القيامة وإثباتها.

الثاني : كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه.

الثالث : خلق السماوات والأرض أيهما تقدم.

الرابع : الإتيان بحرف "كان" الدالة على الماضي مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول : أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك.

وعن الثاني : أنهم يكتمون بألسنتهم ، فتنطق أيديهم وجوارحهم.

وعن الثالث : أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحُوّة ، ثم خلق السماء فسواها في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين ، فتلك أربعة أيام للأرض.

وعن الرابع : بأن "كان" وإن كانت للماضي ، لكنها لا تستلزم الانقطاع ، بل المراد أنه لم يزل كذلك)[١].

روى الحاكم في المستدرك بسنده (عن سعيد بن جبير قال أمرني عبدالرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما التي في سورة الفرقان ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾[٢] والتي في سورة النساء ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم .. ﴾[٣] الآية ، قال : فسألت ابن عباس عن ذلك قال : لما أنزل التي في سورة الفرقان قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق ودعونا مع الله إلها آخر وأتينا الفواحش

- والحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ، ٢/٣٠٦-٣٠٧ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وتفسير سورة المؤمنون ٢/ ٣٩٤.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة "فصلت" ، ٨/ ٥٥٨.
- وانظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/ ٧٩-٨١.
(٢) سورة الفرقان ، رقمها ٢٥ : الآية ٦٨.
(٣) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٩٣.

قال : فنزلت ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا .. ﴾[١] الآية. قال : فهؤلاء لأولئك.

قال وأما التي في سورة النساء ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا .. ﴾ الآية فهو الرجل الذي قد عرف الإسلام وعمل عمل الإسلام ثم قتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم لا توبة له قال فذكرت ذلك لمجاهد فقال إلا من ندم)[٢].

وبعد ذلك انطلق الاهتمام بتوجيه موهم الاختلاف والتناقض.

ولعل إجابات ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانت بمثابة منهج صحيح سليم انتهجه من جاء بعده في توفيقهم بين الآيات الكريمة التي ظاهرها التعارض أو الاختلاف.

فقد وفق الحسن البصري بين قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾[٣]

وقوله تعالى:﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾[٤]

بأن قال : ليس المراد في آية الأعراف على ظاهره ، من أن الوعد كان ثلاثين ليلة ، ثم بعد ذلك وعده بعشر ، لكنه وعده أربعين ليلة جميعًا.

وقيل : تجري آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين، ثم أتم بالعشر ، فاستقرت الأربعون ، ثم أخبر في آية البقرة بما استقر)[٥].

وذكره الخطابي قال : وسمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس ابن سريج قال :

سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد﴾[٦] فأخبر أنه لا يقسم بهذا.

---

(١) سورة الفرقان ، رقمها ٢٥ : الآية ٧٠.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الفرقان ، ٤٠٣/٢ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.
(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ٥١.
(٤) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١٤٢.
(٥) انظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٤٥/٢.
(٦) سورة البلد ، رقمها ٩٠ : الآية ١.

ثم أقسم به في قوله : ﴿وهذا البلد الأمين﴾[١]

فقال ابن سريج : أي الأمرين أحب إليك؟

أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك؟

فقال : بل اقطعني ثم أجبني.

فقال : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزًا وعليه مطعنًا ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ، ثم قال له : إن العرب قد تدخل "لا" في أثناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتًا.

والقاعدة في هذا وأشباهه : أن الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافًا)[٢].

وقد اهتم المفسرون اهتمامًا كبيرًا بتوضيح وجوه التوفيق بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض.

مستدلين بما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في ذلك.

فالإمام الطبري والإمام فخر الدين الرازي ، والزمخشري ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والألوسي وغيرهم من المفسرين وقفوا عند كثير من الآيات الكريمة التي يوهم ظاهرها التعارض ووفقوا بينها بما عندهم من ثقافة إسلامية ومعرفة باللغة العربية وإلمامهم بأحاديث خير البرية وفقههم لكلام الله عز وجل فقهًا صحيحًا سليمًا وفق ما تمليه عليهم عقيدتهم الإسلامية الخالصة.

ولم يقف الأمر على هذا الحد ولم يكتف العلماء بما جاء في كتب التفسير من ذلك.

ولكنهم أفردوا كتبًا ومصنفات كثيرة متعددة في توجيه متشابهات القرآن العظيم ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض والاختلاف بين الآيات.

وتفسير مشكل القرآن والخفي من ألفاظه ، قاصدين بذلك دفع التشكيك ورفع الحيرة وإبطال مزاعم وشبهات المتشككين والمبطلين الذين ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[٣].

وقد ذكر موهم الاختلاف والتناقض :

---

(١) سورة التين ، رقمها ٩٥ : الآية ٣.
(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٤٦/٢.
(٣) سورة الصف ، رقمها ٦١ : الآية ٨.

١- الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن" في (النوع الخامس والثلاثون) بعنوان : "معرفة موهم المختلف".

٢- وذكره الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن ، في (النوع الثامن والأربعون) ، بعنوان : "في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض".

٣- وصنف فيه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، كتابه الذي سماه "تأويل مشكل القرآن". وضمن كتابه هذا الحكاية عن الطاعنين في القرآن وذكر مطاعنهم على اختلاف أنواعها. وعقد أبوابًا للرد على الطاعنين في وجوه القراءات وما ادعوه على القرآن من اللحن وما تقولوه على القرآن من التناقض والاختلاف بين آياته ، وما قالوه في المتشابه. كما أجاب عن قولهم : ملاذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد لجهاده الهدى والبيان.

ثم اتبع بذكر أبواب المجاز لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته وبسببه تشعبت الطرق واختلفت النحل.

وفي آخر مقدمته التي ذكر فيها الحكاية عن الطاعنين ووجوه طعنهم على القرآن الكريم يقول:

(وتعلقوا بكثير منه لطف معناه ، لما فيه من المجازات ، بمضمر لغير مذكور، أو محذوف من الكلام متروك، أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة ، أو مقدم يوضح معناه التأخير ، أو مؤخر يوضح معناه التقديم ، أو مستعار ، أو مقلوب).

إلى أن يقول : (وقد ذكرت الحجة عليهم في جميع ما ذكروا ، وغيره مما تركوا ، وهو يشبه ما أنكروا ، ليكون الكتاب جامعًا للفن الذي قصدت له) (١).

٤- كما صنف الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٣١هـ كتابه المسمى "درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله

(١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ٣٢.

العزيز" ضمنه الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة فرفع لبس إشكالها.

يقول في المقدمة : (ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبيانًا ، ولطعن الجاحدين ردًا ، ولمسلك الملحدين سدًا) (١)

ومن كلامه يستفاد أنه قصد بتأليف كتابه هذا الذي تناول فيه الآيات المتشابهة لفظيًا.

هدف إلى الرد على المتشككين والطاعنين الذين رموا القرآن كذبًا وبهتانًا بالتناقض والاختلاف والاضطراب.

٥- وصنف تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المتوفى أواخر القرن الخامس الهجري ، كتابه المسمى : "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان".

وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ/ عبدالقادر أحمد عطا وجعل عنوانه (أسرار التكرار في القرآن) (٢).

يقول المؤلف في مقدمة كتابه هذا :

(فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال والحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها فإني بحمد الله قد بينت ذلك كله بشرائطه في كتاب "لباب التفسير وعجائب التأويل" مشتملاً على أكثر ما نحن بصدده.

ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه فإن الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها وهو المشكل الذي

(١) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الإسكافي ، ٢ ، ٣، الطبعة الأولى.

(٢) طبعة دار الاعتصام عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه) [١].

وهذا يعطينا معرفة أكيدة أن العلماء اهتموا بالآيات المتشابهات وتوجيهها لإبطال ما يتقوله المبطلون المتشككون في القرآن العظيم ويسدوا كل منفذ وثغرة يمكنهم تصيدها ضد القرآن والإسلام.

٦- وصنف في ذلك أيضًا : أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٠٨هـ كتابه الذي سماه : "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل".

وطبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور / محمود كامل أحمد وطبعته دار النهضة العربية ، بيروت في جزئين.

يقول في المقدمة : (وإن من مُغفلات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه ، وتدبر منطوقه الجليل ومفهومه ، توجيه ما تكرر من آياته لفظًا ، أو اختلف بتقديم أو تأخير ، وبعض زيادة في التعبير فعسر إلا على الماهر حفظًا وظن الغافل عن التدبر ، والمخلد إلى الراحة عن التفكر ، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها لسبب يقتضيه وداع من المعنى يستدعيه وأن ليس على جميع الوارد من ذلك مُرجحات من المعاني عند ذوي الأفهام ، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب في ذلك المعجز العلي من النظام ، فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه ، وأن تقدير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافر مقصود ذلك الموضع وينافيه ، فتعسًا لمن تنكب عن واضح آياته ، وكأن لم يقرع سمعه قوله تعالى ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ [٢].

وإن مما حرك إلى هذا الغرض ، وألحقه عند من تحلى ولوعًا باعتباره ، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره .. أنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف ، ومن حذا حذوهم ، ممن أتى بعدهم وخلف، أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمُدَد وترادف أيام الأبد ، مع عظيم موقعه وجليل منزعه ، ومكانته في الدين وفته أعضاد ذوي الشك و الارتياب من الطاعنين

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، لمحمود بن حمزة الكرماني ، وهذا الكتاب مطبوع تحت اسم "أسرار التكرار في القرآن " ، مقدمة المؤلف ، ١٧ ، ١٨.

(٢) سورة ص ، رقمها ٣٨ : الآية ٢٩.

والملحدين) [١].

وبذلك يتبين لنا أن الدافع إلى تأليف كتاب : "ملاك التأويل" هو إبطال شبه المبطلين ودرء أكاذيب الملحدين الضالين ، وبيان قوة إعجاز القرآن الحكيم في بيانه المحكم المتقن المتمثل في تآلف آياته وترابط كلماته واتساق ألفاظه وغير ذلك من روائع أسلوبه المعجز المبين.

٧- وألف في هذا الموضوع أيضًا شيخ الإسلام الإمام أبو يحيى زكريا الانصاري في كتابه المسمى : "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن"

يقول في مقدمته : (فهذا مختصر من ذكر آيات القرآن المتشابهات، المختلفة بزيادة ، أو تقديم ، أو إبدال حرف بآخر ، أو غير ذلك مع بيان سبب تكراره.

وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها ، صريحًا أو إشارة ، جمعته من كلام العلماء المحققين ، ما فتح الله به من فيض فضله المتين ، وسميته بـ : "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ") [٢].

٨- ومن المصنفات في الموضوع في العصر الحديث كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" لمؤلفه الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي ، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ. والكتاب طبع منفردًا مره [٣] ، وطبع ضمن تفسيره المسمى : "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ، الجزء العاشر [٤].

وقد جمع المؤلف الأقوال التي وقف عليها وقرأها من كتب التفسير وعلوم القرآن.

وجميع هذه المصنفات وغيرها مما لم أقف عليها ولم يقدر لي قراءتها قد أبانت عن الإجابات الشافية لكل سؤال أو اعتراض مغرض يوجه إلى القرآن الكريم.

وزبدة مضمونها أن القرآن الحكيم نزل بلسان عربي أصيل متين ولا يقدر على فهم بيانه المعجز وأسلوبه الفائق وبلاغته السامية إلا من

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لأحمد بن الزبير الغرناطي ، ٣/١ ، ٤.

(٢) مقدمة المؤلف ؛ ص١٥.

(٣) الطبعة الأولى ، ١٣٧٥هـ ، مطابع الرياض.

(٤) تحت عنوان : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، ط ، الرياض.

أعطي معرفة قوية في اللغة العربية وتبحر في العلم بجوانبها وأساليبها تصاريف نثرها ونظمها.

يقول ابن قتيبة : (وإنما يعرف "فضل القرآن " من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات ، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة ، والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العرب خصّيصى من الله ، لما أرهصه في الرسول ، وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله علمه ، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه) [1].

(١) تأويل مشكل القرآن ، ١٢.

المبحث الثالث
الأسباب الموهمة للاختلاف والتناقض بين آيات القرآن الكريم

إن المطالع لما جاء في كتاب : "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، وما جاء في كتاب: "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي ، يجد أن السيوطي قد نقل ما ذكره الزركشي في الأسباب الموهمة للاختلاف.

ولكن المتدبر في الجوانب والجهات التي أدت إلى هذا التوهم لدى أهل الجهل والغباء يظهر له أسباب أكثر مما ذكرها الزركشي ، وهذا ما أقوم ببيانه وتوضيحه مع ذكر أمثلته فيما يأتي :

السبب الأول : الاختلاف في القراءة

ويوضح لنا ذلك ابن الجزري فيقول : (وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة[1] الأحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ وفائدته

(١) يقصد بذلك الحديث الشريف الذي جاء فيه قول رسول الله ﷺ (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)
- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب في الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، ١٦٠/٣ (عن عمر بن الخطاب) ، وكتاب فضائل القرآن ، باب من لم ير بأسًا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا، ٢٤٠/٦.
- وأخرجه الترمذي في سننه ، أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ /٢، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ٤/رقم ٤٠١٤ / ص٢٦٤ ، وقال : هذا حديث صحيح.
- وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الافتتاح ، جامع ما جاء في القرآن ، ١٥٠/٢ ، ١٥١.
- وأخرجه أحمد في المسند ، ٤٣/١.
- والبيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الصلاة ، باب من قدم كلمتي الشهادة على كلمتي التسليم، ١٤٥/٢، وباب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات ، ٣٨٣/٢.
- وعبدالرزاق في المصنف ، ١١/ رقم ٢٠٣٦٩ ، ٢٠٣٧٠ ، ٢٠٣٧١، ص ٢١٨ – ٢٢٠.
- وابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ، كتاب فضائل القرآن ، القرآن على كم حرف نزل ، ٧/رقم٣/ ص١٨٢ (عن أبي هريرة).
- والطحاوي في شرح مشكل الآثار ، ٨/رقم ١١٢/٣١٠٠.
- وذكره المتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ٢/ رقم ٣٠٩٩ ، ٣١٠٠ ، ٣١٠١ / ٥٥ ، ٥٦ ، ورقم ٤٨٠٣/ ٥٩١ ، ورقم ٤٨٢٤/ ٥٩٨ ، ورقم ٤٨٥٢/ ٦٠٢.
- انظر فتح الباري ، ٥/رقم ٧٣/٢٤١٩ ، و٩/رقم ٨٧/٥٠٤١.

فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى.

قال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾[١]

وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها : اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني : اختلافهما جميعًا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث : اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأما الأول : فكالاختلاف في (الصراط[٢] ، وعليهم[٣] ، ويؤده[٤] ، والقدس[٥] ، ويحسب[٦]) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

وأما الثاني : فنحو (مالك وملك) [٧] في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه.

وكذا (يُكَذِّبون[٨] ، ويَكْذِبون) [٩] لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذِّبون بالنبي ﷺ ويَكْذِبون في أخبارهم.

وكذا (كيف ننشزها) [١٠] بالراء والزاي لأن المراد بهما هي العظام.

---

(١) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٨٢.

(٢) "الصراط" : ورد هذا اللفظ في أربعة وأربعين موضعًا في القرآن الكريم.
– انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، ٤٠٧.

(٣) "عليهم" : سورة الفاتحة ، رقمها ١ : الآية ٧.

(٤) "يؤده" : ورد هذا اللفظ مرة واحدة في سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ٢٥٥.
– المرجع السابق، ٩٧.

(٥) "القدس" : ورد هذا اللفظ في أربعة مواضع في القرآن الكريم .
– المرجع السابق ، ٥٣٨.

(٦) "يحسب" : ورد هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم ، في سورة الهمزة ، رقمها ١٠٤: الآية ٣ ، وبالاستفهام أربع مرات.
– المرجع السابق ، ٢٠٠.

(٧) سورة الفاتحة ، رقمها ١ : الآية ٤.

(٨) "يُكَذِّبون" : ورد هذا اللفظ في أربعة مواضع في القرآن الكريم.
– المرجع السابق ، ٦٠١.

(٩) "يَكْذِبون" : ورد هذا اللفظ في موضعين في القرآن الكريم.
– المرجع السابق ، ٥٩٨.

(١٠) سورة البقرة ، رقمها ٢: الآية ٢٥٩.

وذلك أن الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين.

وأما الثالث : فنحو : ﴿وظنوا انهم قد كذبوا﴾ [١] بالتشديد والتخفيف.

وكذا : ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[٢] بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى وبكسر الأولى وفتح الثانية.

وكذا : ﴿للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ [٣] و ﴿فتنوا﴾ بالتسمية والتجهيل.

وكذا قال : ﴿لقد علمت﴾[٤] بضم التاء وفتحها.

وكذلك ما قرئ شاذًا ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾[٥] عكس القراءة المشهورة.

وكذلك : ﴿يطعم ولا يطعم﴾ على التسمية فيهما.

فإن ذلك كله وإن اختلف لفظًا ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض.

فأما وجه تشديد ﴿كذبوا﴾ فالمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم.

ووجه التخفيف : وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به.

فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل.

والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع لثانية من ﴿لتزول﴾

فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها.

وفي القراءة الثانية : إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد ﷺ ودين الإسلام .

ففي الأولى تكون الجبال حقيقة ، وفي الثانية مجازًا.

---

(١) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ١١٠.

(٢) سورة ابراهيم ، رقمها ١٤ : الآية ٤٦.

(٣) سورة النحل ، رقمها ١٦ : الآية ١١٠.

(٤) ورد هذا اللفظ في أربعة مواضع في القرآن الكريم.
– انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي /٤٦٩.

(٥) سورة الأنعام ، رقمها ٦ : الآية ١٤.

وأما وجه : ﴿ من بعد ما فتنوا ﴾ على التجهيل[١] فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا وفي التسمية[٢] يعود إلى ﴿الخاسرون﴾

وأما وجه ضم تاء علمتُ فإنه أسند العلم إلى موسى حديثًا منه لفرعون حيث قال : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ [٣]

فقال موسى على نفسه : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾[٤] فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك أي أن العالم بذلك ليس بمجنون.

وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم لفرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التفريع لشدة معاندته للحق بعد علمه.

وكذلك وجه قراءة الجماعة ﴿يطعم﴾ بالتسمية ﴿ولا يطعم﴾ على التجهيل أن الضمير في وهو يعود إلى الله تعالى أي والله تعالى يرزق الخلق ولا يرزقه أحد.

والضمير في عكس هذه القراءة يعود إلى الولي أي والولي المتخذ يرزق ولا يرزق أحدًا.

والضمير في القراءة الثالثة إلى الله تعالى أي والله يطعم من يشاء ولا يطعم من يشاء.

فليس في شيء من القراءات تنافي ولا تضاد ولا تناقض) [٥].

فهذا ما يؤكد ويقرر أن الاختلاف في القراءات ليس اختلاف تناقض وإنما هو اختلاف تنوع وتغاير.

يقول ابن قتيبة بعد ذكره لوجوه القراءات : (فإن قال قائل : هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدًا ، فهل يجوز أيضًا إذا اختلفت المعاني؟

قيل له : الاختلاف نوعان :

اختلاف تغاير ، واختلاف تضاد.

"فاختلاف التضاد" لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من

---

(١) المراد بالتجهيل : أي بناء الفعل للمجهول.
(٢) المراد بالتسمية : أي بناء الفعل للمعلوم.
(٣) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآية ٢٧.
(٤) سورة الاسراء ، رقمها ١٧: الآية ١٠٢.
(٥) النشر في القراءات العشر ، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، ١/٤٩-٥١.

القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

"واختلاف التغاير" جائز وذلك مثل قوله : ﴿وادكر بعد أمة﴾[١] أي بعد حين و ﴿بعد أمة﴾ أي بعد نسيان له .

والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان لأن ذكر أمر "يوسف" بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه ﷺ بالمعنيين جميعًا في غرضين) [٢].

ولكن كيف يفهم ذلك من لم يعرف اللغة العربية وأفانينها ولم يعرف القراءات وعللها ويفقه تصاريف البيان في القرآن؟ وأنى لهم ذلك.

السبب الثاني : متشابه الآيات

وهي الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة ، وحروفها المتشابهة بزيادة أو تقديم إبدال حرف بآخر.

أو غير ذلك لإيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل قد تأتي في موضع واحد مقدمًا وفي آخر مؤخرًا ، أو في موضع زيادة وفي آخر بدونها[٣].

ومن أمثلته وتوجيهها :

قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿هدى للمتقين﴾[٤] ، وفي سورة لقمان يقول تعالى : ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾[٥].

وتوجيهه : أنه لما ذكر في أية سورة البقرة مجموع الإيمان ناسب "المتقين" ولما ذكر في سورة لقمان الرحمة ناسب "المحسنين"[٦].

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ٤٠.
(٢) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ٤٥.
(٣) درة التنزيل وغرة التأويل ، للخطيب الإسكافي ، ٢/ط١.
- وكتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، للإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري/١٥.
- والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٣٣٩ ، تحقيق محمد أبو الفضل ايراهيم.
(٤) سورة البقرة ، رقمها ٢ ، الآية : ٢.
(٥) سورة لقمان ، رقمها ٣١ : الآية ٣.
(٦) انظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٣٤٠.

من الظالمين﴾[١].

وفي سورة الأعراف : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[٢].

(في هذا سؤالان :

الأول : ورود أمرهما بالأكل في سورة البقرة بواو النسق المقتضية عدم الترتيب مالم يفهم من غيرها.

وفي سورة الأعراف بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب والأمر واحد والقصة واحدة.

والثاني : وصف الأكل في آية البقرة بالرغد ، ولم يقع هذا الوصف في آية سورة الأعراف، مع اتحاد الأمر كما ذكرنا؟

والجواب عن السؤال الأول – والله أعلم :

(أن مورد الآيتين مختلف في الموضعين.

أما الوارد في سورة البقرة فقصد به مجرد الإخبار والإعلام لرسول الله ﷺ بما جرى في قصة آدم صلوات الله وسلامه عليه وابتداء خلقه ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وما جرى من إباية إبليس عن السجود ، ثم ما أمر به آدم من سكنى الجنة والأكل منها ، ولم يُقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زماني ، أو تحديد غاية ، فناسبه الواو وليس الفاء.

وأما آية الأعراف فمقصودها تعداد نعم الله عز وجل على آدم وذريته ، ألا ترى ما تقدمها من قوله ﴿ ولقد مكناكم في الأرض﴾ [٣]

وما أتبع به هذا من ذكر الخلق والتصوير وأمر الملائكة بالسجود لآدم ، ثم قوله مفردًا لإبليس ﴿اخرج منها مذءومًا مدحورًا ﴾ [٤]

ثم بعد ذلك أمر آدم عليه السلام بالهبوط متبعًا بالتأنيس له ووصيته في قوله :

﴿ يا بني آدم لا فتنكم الشيطان ﴾ [٥]

فناسب هذا المقصد العطف بالفاء المقتضية للترتيب.

والواو لا تقتضي ذلك وإنما بابها الجمع حيث لا يرد ترتيب ،

---

(١) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ٣٥.
(٢) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١٩.
(٣) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١٠.
(٤) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ١٨.
(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٢٧.

وليس موضع شرط وجزاء فيكون ذلك مسوغًا لدخول الفاء ، وإنما ورودها هنا لما ذكرته ، من قصد تجريد التفصيل المحصل لتعداد النعم.

ولما اختلف المقصدان اختلفت العبارة عنهما ، فورد كل على ما يناسب ، والله أعلم.

وأما السؤال الثاني : فالجواب عنه :

أن ورود لفظ الرغد في آية البقرة وعدم ورودها في آية الأعراف ، إنما ذلك لأن معنى "من" في آية البقرة التبعيض ، ومعناها بما هو تبعيض قد يسبق منه إرادة التقليل ، وهو غير مراد. وإنما مصرف التبعيض إلى المأكول منه. فإن ما اشتملت عليه الجنة من ذلك إذا أكلت منه ذرية آدم بأجمعها فإنما تأكل بعضًا ، إذ فيها من كل متنعم به ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر[١].

فاجتمع هنا أن البعضية مراده بالنظر إلى ما انطوت عليه الجنة وإباحة التوسعة في أكلها مقصودة وليس ثَمّ ما يحرزها فقال تعالى : "رغدًا" ليحصل معنى التوسعة ، وتجردت من الإحراز معناها ، ورغدًا لإحراز معناها ولم يكن هنا بد إذ ليس في السياق ما يحرز معناها.

وأما سقوط "رغدًا" وعدم ذكرها في آية سورة الأعراف فلوجود ما يحرز ذلك المعنى من التوسعة وذلك في قوله تعالى : ﴿من حيث شئتما ﴾ لإباحة ما في أماكنها من المحال أن يباح لهما الأكل من حيث شاءا منها على اتساع المساحة وكثرة المآكل ثم يُحجَرُ عليهما التوسع في الأكل والترغد فيه ، هذا متناقض.

فإن قيل : قد وقع في سورة البقرة : "حيث شئتما" وتلك توسعة في الأماكن .

قلت : ليس موقع : "من حيث شئتما" لأن "من حيث شئتما" يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها.

---

(١) هذا اقتباس من حديث قدسي رواه مسلم بأربعة أسانيد من طريق أبي هريرة ، مسندًا متصلاً مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال : (قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر). إلى هنا تتفق ألفاظ الروايات الأربع ، ثم تختلف بعد ذلك متونها. وروى الدارمي الحديث بألفاظ الرواية الأولى من روايات مسلم من طريق أبي هريرة بسند خامس.
- انظر صحيح مسلم ، ٤/٢١٧٤-٢١٧٥ ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
- وسنن الدارمي ٢/٣٣٥ ، كتاب الرقاق ، باب ما أعد الله لعباده الصالحين من رقم ٢-٥.

أما "حيث" إذا لم يكن معها من ، فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع ، فقد يقال لشخص : كل هذا العنقود حيث شئت ، من هذا البستان ، فإنما أبيح له أكل عنقود معين مخصوص حيث شاء من أماكن ذلك البستان ، ولم يتعرض بهذه الإباحة أكل ما في كل موضع مَوْضِع منه.

إلا باحتمال ضعيف ، أما إذا قيل له : كل من حيث شئت من مواضع هذا البستان فقد أبيح له الأكل من كل ما في مواضعه ، وحصلت التوسعة في المآكل ، ولم يحصل ذلك عند سقوط (من) على ما تقدم آنفًا.

فقد وضح افتراق الموضعين ، وتعين وروده "رغدًا" في البقرة ، إذ ليس ثم ما يحرزه ، وتعين سقوطه من الأعراف لوجود ما يحرزه والله أعلم) [١].

ومنه أيضًا قوله تعالى في سورة النساء ﴿إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوًا قديرًا ﴾ [٢]

وقال في سورة الأحزاب : ﴿إن تبدوا شيئًا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ [٣]

(للسائل أن يسأل عن الآية الأولى لم خص فيها خير ولم عم في الثانية بلفظ شيء؟

فالجواب : أن يقال إنما خص في هذا الموضع الخير بالابتداء لأنه بإزاء السوء الذي قال فيه ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ [٤]

والمعنى لا يحب الله أن يجهر بالقول السيئ غير المظلوم وهو أن يدعو على ظالمه أو أن يخبر بظلمه له أو أن ينتصر منه بسوء مقاله فيه ، فقال : إن أبديتم ثناء وذكرًا جميلاً لمن يستحقهما أو أخفيتموهما أو سكتم عمن أساء إليكم بالعفو عنه فإن الله مع قدرته كثير العفو عن خليقته فاقتضت في هذا المكان المقابلة أن يجعل بإزاء السوء الخير.

وأما في الآية الثانية التي في سورة الأحزاب فلأن قبلها تحذيرًا

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لأحمد بن الزبير الغرناطي ، ١/٤١-٤٤ بتصرف.
(٢) سورة النساء رقمها ٤: الآية ١٤٩.
(٣) سورة الأحزاب ، رقمها ٢٣ : الآية ٥٤
(٤) سورة النساء رقمها ٤: الآية ١٤٨.

من إضمار ما لا يحسن إضماره في قوله عز وجل ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ [١]

وقوله : ﴿ وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[٢]

فاقتضى هذا المكان العموم فقال تعالى : إن تبدوا مما حذرتكم شيئًا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليمًا ولم يزل عليمًا بما يكون كعلمه بما كان) [٣].

وغير ذلك من الأمثلة التي أوضحها العلماء المتخصصون وجوه التوفيق بينها ، التي قد تخفى على كثير من أهل اللغة العربية ، فما بالك بمن ليس بعربي أو من ليس ماهرًا في معرفة اللغة العربية وأساليبها.

ومن ليس عارفا بأنواع أساليب القرآن الكريم وتصاريف القول فيه.

السبب الثالث : المتشابه المقابل للمحكم

المذكور في قوله تعالى : ﴿وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾[٤]

وقد اختلف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال :

فقيل : المحكم ما عرف المراد منه ، إما بالظهور وإما بالتأويل.
والمتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه ، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.

وقيل : المحكم ما وضح معناه.
والمتشابه نقيضه.

وقيل : المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا.
والمتشابه : ما احتمل أوجهًا.

وقيل : المحكم ما كان معقول المعنى.
والمتشابه بخلافه ، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

وقيل : المحكم ما استقل بنفسه.

---

(١) سورة الأحزاب ، رقمها ٢٣ : الآية ٥١.
(٢) سورة الأحزاب ، رقمها ٢٣ : الآية ٥٣.
(٣) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الإسكافي ، ٧٣ ، ٧٤، الطبعة الأولى.
(٤) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٧.

والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

وقيل : المحكم ما تأويله تنزيله.

والمتشابه مالا يدرى إلا بالتأويل.

وقيل : المحكم ما لم تتكرر ألفاظه.

ومقابله المتشابه.

وقيل : المحكم الفرائض والوعد والوعيد.

والمتشابه القصص والأمثال[1].

إلى غير ذلك من الأقوال المذكورة في كتب التفسير والمصنفات في علوم القرآن وغيرها.

(وقال الخطابي : المتشابه على ضربين :

أحدهما : ما إذا رُدّ إلى المحكم واعتبر به عرف معناه.

والآخر : ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته ، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون.

وقال ابن الحصّار : قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه.

وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ، لأن إليها تُرد المتشابهات ، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه.

وبهذا الاعتبار كانت أمهات.

ثم أخبرعن الذين في قلوبهم زيغ انهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه.

ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات.

ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات.

حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبل بما أشكل عليك.

ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات.

وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع.

ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها، ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلاً منهم ، وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى)[2].

وما قال ابن الحصّار جامع دقيق محقق للمقصود حيث أنه قد أوضح أن المتشابه يرجع في فهمه ومعرفته إلى المحكم ، فالمحكم أصل عليه يفهم المتشابه.

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٣-٤.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٩ ، ١٠.

ولكن لا يعرفه من الناس بعد الله تعالى إلا الراسخون في العلم.

ولهذا اختتمت الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ .. وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [1]

ومن ذلك ينشأ الفهم الخاطئ أو الالتباس في الفهم مما يؤدي إلى التجرؤ على القرآن العظيم ورميه بالتناقض والاختلاف والتضارب.

وسوف أقوم بتوضيح ذلك وتحقيقه عند الكلام عن أدلة نفي إيهام التناقض والاختلاف عن آيات القرآن.

السبب الرابع : المشكل

وهو مثل المتشابه ، وسمي مشكلاً : لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله[2]. أي التبس به.

(ثم قد يقال لما غمض من معناه لالتباسه بغيره واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه وتفسير "المشكل" الذي ادعى على القرآن فساد النظم فيه) [3].

والمقصود به معرفة غريب القرآن.

(وينبغي الاعتناء به.

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) [4].

---

(١) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٧.

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، ١٠٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة حم السجدة ، "فصلت"، ٢/ ٤٣٩، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه.

وقال الذهبي : صحيح عند جماعة (قلت) بل أجمع على ضعفه.

- والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان ، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب ، ٥/رقم ٢٣٩/٢٠٩٤.
- وابن أبي شيبة في المصنف ، ٢٦ ، كتاب فضائل القرآن ، ١ ، ما جاء في إعراب القرآن ، ج٧/رقم١/ص١٥٠.
- وابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، كتاب فضائل القرآن ، ٩ ، باب الأمر بإعراب القرآن ، ٤/ رقم ٣٥٢٤، ص٨٠.
- والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، باب في إعراب القرآن وما جاء فيمن تعلم القرآن فتأوله على غير تأوله ، ج٨، رقم ٨٠٢٥، ص ٢٥٨.

وروى البيهقي من طريق بقية بن الوليد عن عبدالعزيز ابن أبي رواد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال النبي "من قرأ القرآن فأعرب في قراءته ، كان له بكل حرف منه عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات"(١).

والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن ، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ، ولا ثواب فيها.

وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن ، وعدم الخوض بالظن.

فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم، وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئًا) (٢).

فقد رويت آثار كثيرة تدل على أن كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد توقفوا عن تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم.

حدثنا محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن ﴿وفاكهة وأبا﴾(٣) فقال : "أي سماء تظلني وأي

- وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب التفسير ، باب منه في فضل القرآن ومن قرأه ، ١٦٣/٧. وقال : رواه أبو يعلى وفيه عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك.
- وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح ، ١/رقم٦٦٥/٢١٦٥ بلفظ "واتبعوا غرائبه".
- وذكره العلامة المناوي في فيض القدير ، ١/رقم ٥٥٨/١١٤٩، ورمز له بعلامة (الضعيف).
- وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، ٧٧/٨-٧٨.
- وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير وزياته) رقم ٩٣٦/ ١٣٣ ، وقال : "ضعيف جدًا".

(١) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ، فصل في قراءة القرآن بالتفخيم والإعراب ، ٥/رقم ٢٤١/٢٠٩٦ وفيه بقية ، وهو مدلس ، وقد عنعن.
- وذكره المتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ١/رقم ٢٣٩٠/ ٥٣٣.
- والسيوطي في الحاوي للفتاوي ، ٥٦٥/١.
- والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن ، ٣/٢.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٢ ، ٤.
(٣) سورة عبس ، رقمها ٨٠ ، الآية : ٣١.

أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"(١).

(وأخرج عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ﴿فأنبتنا فيها حبًا . وعنبًا وقضبًا . وزيتونًا ونخلاً . وحدائق غلبًا. وفاكهة وأبًا﴾(٢) قال : فكل هذا قد عرفناه فما الأب ثم نفض عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله التكلف اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب) (٣).

- الأب : الكلأ ، والأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وهو نبت الأرض تأكله الدواب ولا تأكله الناس.
- انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤٧٣/٤ ، و١/٥/ مقدمة الكتاب.
- وتفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٣٣/٣٠.
- ولطائف الإشارات "تفسير صوفي" ، للإمام القشيري ، ٢٥٨/٦.
- والتفسير الصحيح ، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ، ٥٩٤/٤.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ، كتاب فضائل القرآن ، ٣٣ ، من كره أن يفسر القرآن ، ٧/رقم ١٨٠/٩. ورقم ١٧٩/٥ عن طريق علي بن مسهر عن الحسن بن عمرو عن الشعبي قال ..
- انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤٧٣/٤ ، وقال : وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه.
- وتفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٣٣/٣٠.
- وفتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، ٢٨٥/١٣ ، وقال : وهو منقطع أيضًا لكن أحدهما يقوي الآخر.
- والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٤/٢. وهذا يدل على أن الحديث إسناده حسن لغيره.

(٢) سورة عبس ، رقمها ٨٠ : الآيات من ٢٧-٣١.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة عبس وتولى ، ٥١٤/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- وابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ، كتاب فضائل القرآن/ (٣٣) من كره أن يفسر القرآن/ جـ٧/ رقم الحديث ٧/ ص١٨٠ بلفظ : (حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا حميد عن أنس أن عمر قال على المنبر .. وفاكهة وأبًا" ثم قال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر).
- انظر تفسير الطبري /١٢/رقم ٤٥١/٣٦٣٦٨.
- وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤٧٣/٤ ، وقال : فهو إسناد صحيح. والسند (حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس). وج١/٥/ مقدمة الكتاب.
- والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، ٥٢٢/٦.
- وتفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٣٣/٣٠.

وعن ابن عباس قال : (كل القرآن أعلمه ، إلا أربعًا : "غسلين"[١] ، "وحنانًا"[٢] و "أواه"[١] و "الرقيم"[٢])[٣].

- وتفسير القرآن الكريم ، للصنعاني ، ٣٤٩/٢.
- والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٤/٢.
- وفي صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/٣ ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ سورة المائدة ، رقمها ٥ ، الآية : ١٠١. ج٩ ، حديث رقم١١٨/٥ بعض هذا مختصرًا : (عن أنس قال : كنا عند عمر فقال : نهينا عن التكلف).

(١) ﴿ ولا طعام إلا من غسلين﴾ سورة الحاقة ، رقمها ٦٩ : الآية ٣٦.
معنى "غسلين" : هو شر طعام أهل النار ، وقيل هو شجر في جهنم ، وقيل هو الزقوم ، وقيل هو الدم والماء يسيل من لحومهم في النار ، وقيل هو صديد أهل النار.
- انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، ٤١٢/٦ ، ٤١٣.
- وتفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، لابن أبي حاتم ، ١٠/رقم ١٨٩٧٧/ ٢٣٧٢.
- وتفسير ابن كثير ، ٤١٦/٤.
- وفتح القدير ، للشوكاني ، ٣٥٣/٥.
- وتفسير البغوي ، ٢١٣/٨.
- وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس / ٥٦٨.
- وتفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، ٣٢٦/٨.
- والتفسير الصحيح ، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ، ٥٣٠/٤.
- وفتح الباري ، لابن حجر ، ٥٣٣/٨.

(٢) ﴿وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًا﴾ سورة مريم ، رقمها ١٩ : الآية ١٣.
معنى "حنانًا" : الحنان هو الرحمة والمحبة في شفقة وميل ، ومنه قول العرب حنت الناقة على ولدها.
- انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٨٧/١١.
- وتفسير ابن كثير ، ١١٣/٣.
- وتفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، ١٧٧/٦.
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، ٤٣٧/٩.
- وفتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق بن حسن القنوجي البخاري ، ٨/ ١٤٣
- عن ابن عباس في قوله" :وحنانًا "قال(: لا أدري ما هو ، إلا أني أظنه تعطف الله على خلقه بالرحمة)
- أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، تفسير سورة مريم ، ٣٧٢/٢. وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.
- انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، ٤٧١/٤.
- وتفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، لابن أبي حاتم، ٧/رقم١٣٠٦٢/ ٢٤٠٠.

(١) ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ سورة التوبة ، رقمها ٩ : الآية ١١٤.
معنى "أواه" هو كثير الدعاء ، وقيل هو الموقن ، وقيل هو الرحيم ، وقيل هو المُسبِّح الكثير الذكر لله ، وقيل الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها ، وقيل هو الذي يكثر تلاوة القرآن.
- انظر تفسير ابن كثير ٣٩٥/٢.
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، ٦٣/٧ ، ٦٤.
- وتفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، لابن أبي حاتم ، ١٨٩٦/٦ ، ١٨٩٧.
- وتفسير البغوي ، ١٠٢/٤.
- وتفسير الطبري ، ٤٩٤/٦-٤٩٨.
ويقال : كان يتأوه على نفسه فيقول أوه من النار قبل دخول النار.
- انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / ٢٠٥.

(١) ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم .. ﴾ سورة الكهف ، رقمها ١٨ : الآية٩.
معنى "الرقيم" : هو واد قريب من أيلة وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير ، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ ، وقيل سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام ، وقيل أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام- انظر معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ٢٩٢/١.
- وقيل "الرقيم" : هو الكتاب وهو اللوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ووضعوه على باب الكهف، وقيل إنه اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل اسم الجبل الذي فيه الكهف ، وقيل الدواة بلسان الروم، وقيل اسم كلبهم ، وقيل اسم الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل أصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم أصلح عمله.
- انظر تفسير ابن كثير ، ٧٣/٣.
- والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٣٥٧/١٠/٥.
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، ٢٣٨/٩.
- وزاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ١٠٨/٥.
- وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، م٧/ج٩/١١.
- وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ١٩/٤.

(١) أخرجه عبدالرزاق كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، ٣٨٤/٤.
- انظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٤/٢.
- إسناد عبدالرزاق "أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس
- انظر تفسير القرآن الكريم ، لعبد الرزاق الصنعاني ، ٣٩٧/١.
- ورواية سماك عن عكرمة مضطربة . والحديث ضعيف
- انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي ، ١٢٠/١٢.
- وبنفس السند بلفظ : (كل القرآن أعلمه إلا حنانًا والأواه والرقيم).
- انظر تفسير الطبري ، ١٨٢/٨.
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية ، ٢٣٩/٩.

وما روي عن ابن عباس أيضًا قال : ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم[١].

يضاف إلى ذلك ما ورد عن ابن عباس عن طريق ابن أبي طلحة خاصة فإنها من أصح الطرق وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبًا على السور منها : "يعمهون"[٢] يتمادون. "مثابة"[٣] يثوبون إليه ثم يرجعون ، "جنفًا" إثمًا [٤] "غير متجانف"[٥] متعمد للإثم إلى غير ذلك[٦].

ومشكل القرآن وغريبه وما غمض معنى وخفي قد يخفى ويشكل على أهل اللسان العربي وأهل اللغة العربية وأربابها فما بالك بمن ليس بعربي.

بل ما بالك بمن يكن العداوة والبغضاء للإسلام ، فهؤلاء قلوبهم في أكنة عن الحق الصريح.

وهذا ما يهدف إليه الزركشي بقوله :

(أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر.

واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كبر أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو يكون غير متحقق الإيمان ، أو ضعيف التحقق ، أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله.

وهذه كلها حجب وموانع ، وبعضها آكد من بعض.

إذا كان العبد مُصْغيًا إلى كلام ربه ، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، نظارًا إلى قدرته ، تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله ، متبرئًا من حوله وقوته ، معظمًا للمتكلم، مفتقرًا إلى التفهم ، بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وقوة علم ، وتمكن سمع لفهم الخطاب ،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٥/٢.
(٢) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ١٥.
(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ١٢٥.
(٤) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ١٨٢.
(٥) سورة المائدة ، رقمها ٥ : الآية ٣.
(٦) المرجع السابق ذكره ، السيوطي نقلا عن البخاري مرتبة على السور ، الإتقان ، ٦/٢ -١٠.

وشهادة غيب الجواب ، بدعاء وتضرع ، وابتئاس وتمسكن ، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم.

وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم ، من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف ، والإنذار بالتشديد.

فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن ، وفي مثل هذا قال تعالى:﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾ [١]

وهذا هو الراسخ في العلم ، جعلنا الله من هذا الصنف ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[٢])[٣].

السبب الخامس : من أسباب إيهام الاختلاف والتناقض

وقوع المخبر على أحوال مختلفة وأطوار شتى : فقد يخبر عن الأمر بشيء ثم يخبر عنه بشيء آخر لا يناقض الخبر الأول

مثل ما جاء في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وأصل خلقته فذكر الله تعالى مرة أنه خلق من تراب فقال تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[٤]

وفي موضع ثان ذكر الله تعالى أنه خلق من طين لازب ، فقال تعالى: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب[٥]

وفـــي موضع ثالث ذكر الله تعالى أنه خلق آدم من صلصال من حمإٍ مسنون فقال تعالـــى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٦]

وفي موضع رابع ذكر الله تعالى أنه خلق من صلصال كالفخار ، فقال تعالى : ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾[٧].

ولذلك ظن الجهلة الأغبياء أن في هذا الاختلاف في الإخبار عن أصل مادة خلق آدم عليه السلام تناقض واضطراب مع أن الجمع بين هذه

---

(١) سورة البقرة ، رقمها ٢: الآية ١٢١.
(٢) سورة الأحزاب ، رقمها ٣٣ : الآية ٤.
(٣) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ١٨٠/٢ ، ١٨١.
(٤) سورة آل عمران ، رقمها ٣: الآية ٥٩.
(٥) سورة الصافات ، رقمها ٣٧ : الآية ١١.
(٦) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٢٦.
(٧) سورة الرحمن ، رقمها ٥٥ : الآية ١٤.

الآيات يسير على من كان متدبرًا متفهمًا لكلام الحق سبحانه بفكر صحيح، وفهم قويم ، وقلب سليم ، فعرف أن القرآن قد أخبر عن الأطوار التي مر بها خلق آدم عليه السلام.

فكان طوره الأول من تراب.

وكان طوره الثاني : من طين لازب ، وهو الثابت الشديد الثبوت[١].

وقيل : هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض فكأنه عندما خلط بالماء صار هكذا[٢].

وكان طوره الثالث : من حمأ مسنون ، وهو الطين الذي خمر حتى صار منتنًا[٣]. وقال الرازي: (الحمأ وهو الذي استقر في الماء مدة ، وتغير لونه إلى السواد) [٤].

وكان طوره الرابع : من صلصال كالفخار وهو الطين الذي جف ويبس وصار له صلصلة[٥].

وهذا الوجه من الجمع لا يغيب إلا عن البليد الفهم العمي البصيرة، المغلق العقل ، البعيد عن نور القرآن الكريم وهداياته.

ومثاله أيضًا ما جاء في أمر عصا موسى عليه الصلاة والسلام عندما انقلبت فأخبر الله تعالى عنها مرة فقال : ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾[٦].

وفي موضع آخر أخبر عنها : ﴿تهتز كأنها جانّ﴾[٧].

والجان الصغير من الحيات ، والثعبان الكبير منها.

وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته[٨].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني، ٧٣٩.
(٢) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، ٢٤ ، ٤٢-٤٣.
- وانظر روح المعاني ، للألوسي ، ٧٥/٢٣.
- والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٥/ ٦٨ ، ٦٩.
- والنكت والعيون ، تفسير الماوردي ، ٤٠/٥.
(٣) تفسير الطبري ، ٢٩/١٤.
(٤) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٨٤/٨ ، ط١ ، وتفسير الطبري ، ٢٨/١٤.
(٥) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٩٨/٢٩ ، وتفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٢٤٥/٢٧، وتفسير الطبري ، ١٢٤/٢٧ ، ١٢٥ . والكشاف ، للزمخشري ، ٤٥/٤.
(٦) سورة الشعراء ، رقمها ٢٦ : الآية ٣٢.
(٧) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٣١.
(٨) انظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٥٥/٢.

يقول الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لآية سورة الشعراء :

(فإن قيل : كيف قال ههنا ﴿ثعبان مبين﴾ وفي آية أخرى ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ [١]وفي آية ثالثة ﴿كأنها جان﴾ والجان مائل إلى الصغر والثعبان مائل إلى الكبر؟

جوابه : أما الحية فهي اسم الجنس ثم إنها لكبرها صارت ثعبانًا ، وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها فصح الكلامان) [٢].

وعند تفسيره لآية سورة القصص قال : (وقوله : ﴿كأنها جان﴾ صريح في أنه تعالى شبهها بالجان ولم يقل إنه في نفسه جان ، فلا يكون هذا مناقضًا لكونه ثعبانًا بل شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار) [٣].

السبب السادس من أسباب إيهام الاختلاف والتناقض :

لاختلاف الموضوع والموقف :

قد تتضمن الآية الكريمة الحكم في موقف من المواقف وتأتي آية أخرى تتضمن حكمًا يخالف في ظاهره ما جاء في الآية أو الآيات الأخرى فيوهم التعارض ، كما في قوله تعالى : ﴿وقفوهم إنهم مسئولون[٤]

وقوله تعالى : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ [٥]

وقوله تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ [٦]

ففي هذه الآيات قد قرر الله عز وجل مسئولية الجميع وأكدها.

وعلى الضد من مفهوم هذه الآيات وصريحها يأتي قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ [٧]

وقوله : ﴿ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾ [٨]

وهذا ظاهره التعارض والاختلاف عند من لم يفهم موضوع كل قضية منها.

---

(١) سورة طه ، رقمها ٢٠ : الآية ٢٠.
(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٣١/٢٤.
(٣) المرجع السابق ، ص٢٤٦.
(٤) سورة الصافات ، رقمها ٣٧ : الآية ٢٤.
(٥) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦.
(٦) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآيتان ٩٢ ، ٩٣.
(٧) سورة الرحمن ، رقمها ٥٥ : الآية ٣٩.
(٨) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٧٨.

ولذلك قام العلماء المحققون بتوضيح وبيان ما يزيل هذا الوهم من الاختلاف فأجابوا عن ذلك من ثلاثة أوجه :

الأول : وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه وهو أن السؤال نوعان :

سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالبًا "لِمَ".

وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبًا "هل".

فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام.

ووجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في كله توبيخ وتقريع كقوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسئولون . ما لكم لا تناصرون﴾[١]

وقوله تعالى :﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ [٢]

وكقوله تعالى : ﴿ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [٣]

وكقوله : ﴿ ألم يأتكم نذير﴾[٤]

إلى غير ذلك من آيات القرآن المقررة بأن السؤال المتوجه إلى الكفار والعاصين سؤال توبيخ وتقريع.

وسؤال الله تعالى للرسل : ماذا أجبتم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال الموؤودة في قوله تعالى: ﴿وإذا الموؤودة سئلت . بأي ذنب قتلت﴾[٥] لتوبيخ قاتلها.

والوجه الثاني : أن في القيامة مواقف متعددة ففي بعضها يسألون ، وفي بعضها لا يسألون.

والوجه الثالث : هو ما ذكره الحليمي من إثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ماذا أجبتم المرسلين﴾ [٦] [٧].

---

(١) سورة الصافات ، رقمها ٣٧ ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥.
(٢) سورة الطور ، رقمها ٥٢ : الآية ١٥.
(٣) سورة الزمر ، رقمها ٣٩ : الآية ٧١.
(٤) سورة الملك ، رقمها ٦٧ : الآية ٨.
(٥) سورة التكوير ، رقمها ٨١ : الآيتان ٨ ، ٩.
(٦) سورة القصص ، رقمها ٢٨ : الآية ٦٥.
(٧) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي ، ١٠/١٣١-١٣٢.

يقول الفخر الرازي : (فإن قيل فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة ؟

قلنا : لأنهم إذا أثبتوا أنه لم يصدر عنهم تقصير البتة التحق التقصير بكليته بالأمة فيتضاعف إكرام الله في حق الرسل لظهور براءتهم من جميع موجبات التقصير ، ويتضاعف أسباب الخزي والإهانة في الكفار ، لما ثبت أن كل تقصير كان منهم) [١].

ويقول أيضًا الإمام الفخر الرازي : (فإن قيل : كيف الجمع بين قوله تعالى : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ وبين قوله : ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ وقوله: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾

قلنا فيه وجوه :

أحدها : أن القوم لا يسألون عن الأعمال لأن الكتب مشتملة عليها ، ولكنهم يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال ، وعن الصوارف التي صرفتهم عنها.

وثانيها : أن السؤال قد يكون لأجل الاسترشاد والاستفادة ، وقد يكون لأجل التوبيخ والإهانة.

كقول القائل : ألم أعطك؟ وقوله تعالى : ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ﴾ [٢]

قال جرير [٣]:

ألستُمْ خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطوت راح[٤]

إذا عرفت هذا فنقول :

أنه تعالى لا يسأل أحد لأجل الاستفادة والاسترشاد

ويسألهم لأجل توبيخ الكفار وإهانتهم.

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[٥]

ثم قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [٦]

---

(١) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٤/٢٥.
(٢) سورة يس ، رقمها ٣٦ : الآية ٦٠.
(٣) ديوان جرير / ٧٧.
(٤) الراح : الواحدة راحة : الكف . المعجم الوسيط ، ١/٣٨٢.
(٥) سورة الصافات ، رقمها ٣٧ : الآية ٢٧.
(٦) سورة المؤمنون ، رقمها ٢٣ : الآية ١٠١.

فإن الآية الأولى تدل على المسألة الحاصلة بينهم إنما كانت على سبيل أن بعضهم يلوم بعضًا والدليل عليه قوله تعالى ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ (١)

وقوله : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾

معناه : أنه لا يسأل بعضهم بعضًا على سبيل الشفقة واللطف ، لأن النسب يوجب الميل والرحمة والإكرام.

والوجه الثالث في الجواب : أن يوم القيامة يوم طويل ومواقفها كثيرة ، فأخبر عن بعض الأوقات بحصول السؤال ، وعن بعضها بعدم السؤال) (٢).

ومثاله أيضًا قوله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ (٣)

مع قوله تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون﴾(٤)

ومما يدل أيضًا على أن الله عز وجل يكلم الكفار يوم القيامة قوله تعالى : ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون. قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ (٥)

(والجواب عن هذا بأمرين :

الأول : وهو الحق : أن الكلام الذي نفى الله أنه يكلمهم به هو الكلام الذي فيه خير.

وأما الكلام المثبت فهو كلام التوبيخ والتقريع والإهانة.

فكلام الله تعالى لهم به من جنس عذابه لهم.

ولم يقصد بالنفي في قوله : ﴿ ولا يكلمهم ﴾

الثاني: (أنه لا يكلمهم أصلاً وإنما تكلمهم الملائكة بإذنه وأمره) (٦).

يقول الفخر الرازي : (قوله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ فظاهره : أنه لا يكلمهم أصلاً لكنه لما أورده مورد الوعيد فهم منه ما يجري مجرى

---

(١) سورة القلم ، رقمها ٦٨ : الآية ٣٠.
(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٢٦/١٤.
(٣) سورة البقرة ، رقمها ٢ : الآية ١٧٤.
(٤) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآيتان ٩٢ ، ٩٣.
(٥) سورة المؤمنون ، رقمها ٢٣ : الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨.
(٦) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، للشنقيطي ، ٣٤/١٠ ، ٣٥ بتصرف.

العقوبة لهم.

وذكروا فيه ثلاثة أوجه :

الأول : أنه قد دلت الدلائل على أنه سبحانه وتعالى يكلمهم ، وذلك قوله : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ (١)

وقوله : ﴿فلسنألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ (٢)

فعرفنا أنه يسأل كل واحد من المكلفين ، والسؤال لا يكون إلا بكلام. فقالوا : وجب أن يكون المراد من الآية أنه تعالى لا يكلمهم بتحية وسلام وإنما يكلمهم بما يعظم عنده من الغم والحسرة من المناقشة والمساءلة.

وبقوله : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾

والثاني : أنه تعالى لا يكلمهم

وأما قوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾

فالسؤال إنما يكون من الملائكة بأمره تعالى .

وإنما كان عدم تكليمهم يوم القيامة مذكورًا في معرض التهديد لأن يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله تعالى فيه كل الخلائق بلا واسطة.

فيظهر عند كلامه السرور من أوليائه ، وضده في أعدائه ، ويتميز أهل الجنة بذلك من أهل النار فلا جرم كان ذلك من أعظم الوعيد.

والثالث : أن قوله : ﴿ ولا يكلمهم﴾ استعارة عن الغضب ، لأن عادة الملوك أنهم عند الغضب يعرضون عن المغضوب عليه ولا يكلمه كما انهم عند الرضا يقبلون عليه بالوجه والحديث) (٣).

السبب السابع من أسباب إيهام التناقض والاختلاف :

لاختلافهما في جهتي الفعل :

فيسند الفعل إلى فاعل مرة مع إسناده إلى فاعل آخر مرة ثانية :

كما في قوله تعالى : ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ (٤)

والقتل قد وقع من المسلمين ومع ذلك فقد نفاه الله تعالى عنهم وأثبته لذاته سبحانه وتعالى.

وقد جمع العلماء بين الأمرين فقالوا : أضيف القتل إليهم على جهة

---

(١) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآيتان ٩٢ ، ٩٣.
(٢) سورة الأعراف ، رقمها ٧ : الآية ٦.
(٣) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٥/ ٢٩ ، ٣٠.
(٤) سورة الأنفال ، رقمها ٨ : الآية ١٧.

الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير ، ولهذا قال الجمهور : إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين ، ففي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى[١].

ومثله قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[٢]

فقد اثبت الله تعالى الرمي للرسول ﷺ ثم نفاه عنه وأثبته لذاته العلية سبحانه ، وهذا يوهم التناقض والاختلاف عند من لم يفهم كلام الله عز وجل.

وهذا ما جعل المفسرون يحاولون التوفيق بين النفي والإثبات الذي تضمنته الآية الكريمة.

فيقول أبو حيان : (وليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم ، وإنما هي للربط بين الجمل لأنه لما قال : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان﴾[٣] كان امتثال ما أمروا به سببًا للقتل فقيل : فلم تقتلوهم أي لستم مستبدين بالقتل لأن الإقدار عليه والخالق له إنما هو الله ليس القاتل فيها شيء لكنه أجرى على يده ففي عنهم إيجاد القتل وأثبت لله وفي ذلك رد على من زعم أن أفعال العباد خلق لهم.

ومجئ "ولكن" هنا أحسن مجيئ لكونها بين نفي وإثبات ، فالمثبت لله هو المنفي عنهم وهو حقيقة القتل)[٤].

فصورة القتل والرمي صدرت من الصحابة رضي الله عنهم ومن الرسول ﷺ وإنما أثرها حصل من الله تعالى فلهذا المعنى صح فيه النفي والإثبات فكان قتلهم والرمي من الرسول كسبًا وأثره خلقًا من الله عز وجل.

السبب الثامن من أسباب إيهام التناقض والاختلاف :

لاختلافهما في الحقيقة والمجاز:

فيذكر اللفظ ويراد به حقيقة معناه ، وقد يذكر اللفظ ويراد به المعنى المجازي.

كما في قوله تعالى : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، ٢/٥٩.
(٢) سورة الأنفال ، رقمها ٨ : الآية ١٧.
(٣) سورة الأنفال ، رقمها ٨ : الآية ١٢.
(٤) تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ٤/ ٤٧٦-٤٧٧/ ط٢.

ولكن عذاب الله شديد﴾[١]

فقد أثبت أنهم سكارى على طريق التشبيه ثم نفى عنهم الحقيقة وهي السكر من الخمر وذلك لما هم فيه من الحيرة وتخليط العقل[٢].

فالمراد في قوله تعالى : ﴿وما هم بسكارى﴾ استمرار النفي ، وأكد بزيادة الباء للتنبيه على أن ما هم فيه ليس من المعهود في شيء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله ، وأشير إلى سببه بقوله تعالى : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ أي أن شدة عذاب الله تعالى تجعلهم كما ترى ، وهو استدراك راجع إلى قوله تعالى : ﴿ .. وما هم بسكارى ﴾[٣]

يقول الزركشي: (وهو يرجع لقول المناطقة : الاختلاف بالإضافة، أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازًا ، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة)[٤].

السبب التاسع من أسباب إيهام التناقض والاختلاف :

بوجهين مختلفين وهو الجامع للمفترقات :

وهو أن يذكر في آية أمر ويذكر خلافه في آية أخرى.

كما في قوله تعالى : ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾[٥]

وفي آية أخرى قال تعالى : ﴿خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾[٦]

فالآية الأولى : تدل على أن الكفار يوم القيامة يتمتعون بحدية البصر ، بينما صرحت الآية الثانية بأن الكفار يوم القيامة ينظرون بعيون ضعيفة النظر وهذا ما يوهم تخالف وتناقض هذه الآية مع تلك.

قال قطرب : فبصرك : أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بَصُر بكذا : أي علم ، وليس المراد رؤية العين ، قال الفارس : ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فكشفنا عنك غطاءك﴾[٧]

---

(١) سورة الحج ، رقمها ٢٢ : الآية ٢.
(٢) انظر تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ٦/٣٥٠.
(٣) انظر تفسير روح المعاني ، للألوسي ، ١٧/١١٣.
(٤) البرهان في علوم القرآن ، ٢/٦٠.
(٥) سورة ق ، رقمها ٥٠ : الآية ٢٢.
(٦) سورة الشورى ، رقمها ٤٢ : الآية ٤٥.
(٧) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٣/٨٦.

ومثاله أيضًا قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[١]

مع قوله تعالى في آية أخرى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون﴾[٢]

فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة.

وجوابه : أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى.

فتوجل القلوب لذلك.

وقد جمع بينهما في قوله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾[٣][٤].

يقول الإمام الفخر الرازي : (اعلم أن قوله : ﴿ الذين آمنوا﴾ بدل من قوله ﴿ من أناب﴾ قال ابن عباس : يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت.

فإن قيل : أليس أنه تعالى قال في سورة الأنفال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ والوجل ضد الاطمئنان ، فكيف وصفهم هنا بالاطمئنان؟

والجواب من وجوه :

الأول : انهم إذا ذكروا العقوبات ولم يأمنوا من أن يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل.

وإذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم إلى ذلك ، وأحد الأمرين لا ينافي الآخر، لأن الوجل هو بذكر العقاب والطمأنينة بذكر الثواب ، ويوجد الوجل في حال فكرهم في المعاصي، وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات.

---

(١) سورة الرعد ، رقمها ١٣ : الآية ٢٨.
(٢) سورة الأنفال ، رقمها ٨ : الآية ٢.
(٣) سورة الزمر ، رقمها ٣٩ : الآية ٢٣.
(٤) الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ٨٦/٣.
ملحوظة : يلاحظ أن كلمة "فتوجل" مكتوبة "توجه" في الطبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

الثاني : أن المراد من علمهم بكون القرآن معجزًا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد ﷺ نبيًا حقا من عند الله.

أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجل في قلوبهم.

الثالث : أنه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأن محمد ﷺ صادق في كل ما أخبر عنه.

إلا أنه حصل الوجل والخوف في قلوبهم انهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا، وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا)[١].

فهذه الأسباب وغيرها هي التي وقفت أمام الجاهلين والمعاندين والجاحدين والمنكرين للإسلام والقران فلم يفهموا تصاريف القول في القرآن المجيد ، ولم يعرفوا تنوع أساليبه وفنون بيانه فلما عجزوا عن فهمه وحسن تدبره تفننوا في رميه بالتناقض والزعم بأن آياته مختلفة والأحكام فيه متباينة فعموا وصموا.

ونسوا أنه كلام الله عز وجل المبين المتين الذي لا يتطرق إليه تناقض أو اختلاف.

---

(١) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ٥٠/١٩ ، ٥١.

المبحث الرابع
الدلائل والبراهين على نفي موهم الاختلاف والتناقض عن القرآن الكريم

الأدلة القرآنية :

لقد تعددت وتكاثرت الآيات القرآنية الدالة على أن القرآن المجيد محكم النظم متقن الرصف متوافق الآيات متآلف المسائل والأحكام منسجم النسق والسرد. قد بلغ الغاية العظمى في الفصاحة والبلاغة والبيان الذي أعجز العرب خاصة والخلق عامة أن يأتوا بمثله أو بمثل أقصر سورة منه. وبلغ بهم غاية التحدي بقوله عز وجل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ (١)

وقد تكررت الآيات التي تقرر وتؤكد أن القرآن الكريم محكم متقن لا يعتوره خلل أو اختلاف أو تناقض ، ويدل على ذلك البراهين الآتية :

أولاً : أن الله عز وجل وصفه بوصف حكيم في كثير من الآيات ..

يقول تعالى : ﴿ ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (٢)

ويقول تعالى : ﴿ألر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾(٣)

ويقول تعالى : ﴿ألم. تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾(٤)

ويقول تعالى : ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾(٥)

ويقول تعالى : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ (٦)

ويقول تعالى : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ (٧)

ويقول تعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا ﴾ (٨)

فقد جاء لفظ "حكيم" في الآيات الكريمة وصف للقرآن وهذا يفيد

---

(١) سورة الإسراء ، رقمها ١٧ : الآية ٨٨.
(٢) سورة هود ، رقمها ١١ : الآية ١.
(٣) سورة يونس ، رقمها ١٠ : الآية ١.
(٤) سورة لقمان ، رقمها ٣١ : الآيتان ١ ، ٢.
(٥) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٥٨.
(٦) سورة يس ، رقمها ٣٦ : الآيتان ١ ، ٢.
(٧) سورة الزخرف ، رقمها ٤٣ : الآية ٤.
(٨) سورة الرعد ، رقمها ١٣ : الآية ٣٧.

التصريح الواضح بأن القرآن حكيم.

ومعنى الحكيم : المُحْكم صرف مُفْعَل إلى فعيل

كما قيل : عذاب أليم بمعنى مؤلم.

وقيل : الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل.

وقيل الحكيم بمعنى المحكم والإحكام معناه : المنع من الفساد.

وقيل الحكيم في أصل اللغة : عبارة عن الذي يفعل الحكمة والصواب(١)

أما المراد بلفظ حكيم الذي وصف به القرآن فقد تعدد أقوال العلماء فيه:

١- فقيل : ذو الحكمة لاشتماله عليها وتعلقه بها(٢).

٢- وقيل : أن الحكيم عبارة عن الذي يفعل الحكمة والصواب ، فوصف القرآن به مجازًا.
ووجه المجاز أنه يدل على الحكمة والصواب ، فمن حيث أنه يدل على هذه المعاني صار كأنه هو الحكيم في نفسه(٣).

٣- وقيل : إن الحكيم : المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده(٤).

٤- وقيل المراد وصف الكلام بصفة من تكلم به.

٥- وقيل : الحكيم بمعنى الحاكم ، فالقرآن كالحاكم في الاعتقادات لتمييز حقها عن باطلها وفي الأفعال لتمييز صوابها عن خطئها ، وكالحاكم على أن محمدًا صادق في دعوى النبوة لأن المعجزة الكبرى لرسولنا عليه الصلاة والسلام ليست إلا القرآن.

٦- وقيل : المراد بالحكيم : المحكم من الإحكام وهو المنع من الفساد.

---

(١) انظر المفردات لألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ٢٤٩.
- والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير، ٤١٨/١، ٤١٩..
- وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادي ، ٤٩١/٢.
- ولسان العرب ، لابن منظور ، ٩٥١/١.
(٢) انظر تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ١٢٢/٥ .
(٣) انظر تفسير الفخر الرازي ، ٥/١٧.
(٤) تفسير الطبري ، ٨٠/١١.

فيكون المراد منه : أنه لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور.

أو المراد منه براءته عن الكذب والتناقض[١].

٧- قال الحسن : وصف الكتاب بالحكيم لأنه تعالى حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه.

فعلى هذا : "الحكيم " يكون معناه المحكوم فيه[٢].

٨- وقيل : إن معنى ﴿ أحكمت آياته ﴾

أي نظمت نظامًا رصينًا محكمًا لا يقع فيه نقص ولا خلل ، كالبناء المحكم المرصف.

أو أن الإحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء.

فالمراد : لم تنسخ آياته كما نسخت الكتب والشرائع بها.

ويجوز أن "أحكمت" من حَكَم بضم الكاف إذا صار حكيمًا ، أي جعلت حكيمة.

كقوله تعالى : ﴿ آيات الكتاب الحكيم ﴾ [٣]

وجعلت آياته محكمة في أمور :

أحدها : أن معاني هذا الكتاب هي :

التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والمعاد ،

وهذه المعاني لا تقبل النسخ فهي في غاية الإحكام.

وثانيها : أن الآيات الواردة فيه غير متناقضة.

والتناقض ضد الإحكام ، فإذا خلت آياته عن التناقض فقد حصل الإحكام.

وثالثها : أن ألفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل المعارضة، وهذا أيضًا مشعر بالقوة والإحكام.

ورابعها : أن العلوم الدينية إما نظرية وإما عملية.

أما النظرية : فهي معرفة الإله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب

(١) تفسير الفخر الرازي ، ١٧/٥.
(٢) المرجع السابق
(٣) سورة يونس ، رقمها ١٠ : الآية ١.
سورة لقمان ، رقمها ٣١ : الآية ٢.

والرسل واليوم الآخر،

وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها.

وأما العملية : فهي إما أن تكون عبارة عن تهذيب الأعمال الظاهرة وهو الفقه، أو عن تهذيب الأحوال الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس.

ولا نجد كتابًا في العالم يساوي هذا الكتاب في هذه المطالب.

فثبت أن هذا الكتاب مشتمل على أشرف المطالب الروحانية وأعلى المباحث الإلهية.

فكان كتابًا محكمًا غير قابل للنقض والهدم[١].

وهذه الأقوال في المراد بوصف القرآن بالحكيم لا تتنافى ولا تتناقض وإنما ينضم بعضها إلى بعض لتقرير وصف القرآن بالكمال التام الثابت للقرآن ولإظهار مزيد اختصاص القرآن بالإعجاز من جهتي اللفظ والمعنى وسمو إتقانه في التأليف والنظم والتناسق فقد نظمت آياته نظمًا محكمًا لا يطرأ عليه اختلال فلا يكون فيه تناقض أو مخالفة للواقع ولا يلحقه شيء يخل بفصاحته وبلاغته.

وقد يتبادر سؤال ملح على العقل في هذا المقام هو : ما وجه التوفيق بين كون القرآن محكمًا وبين كونه متشابهًا وهو ما صرح به قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [٢]

فقد اتفق المفسرون على أن المراد بالكتاب في هذه الآية : القرآن.

وأن وصف الآيات المحكمات بأنهن أم الكتاب ، أي أصل القرآن الذي هو عماد الدين والفرائض والحدود ، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم في عاجلهم وآجلهم ، وإنما سماهن الله عز وجل بأم الكتاب، لأنهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه.

وأفرد "أم" ولم يجمع فيقول " أمهات" مع قوله تعالى : "هن" لأنه أراد جميع الآيات المحكمات أم الكتاب ، لا أن كل آية منهن أم الكتاب[٣].

ولكنهم اختلفوا في المراد بالإحكام المقابل للمشابهة في الآية

(١) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٧/١٧٨/ بتصرف ،ط١ ، المطبعة البهية المصرية.
(٢) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية٧.
(٣) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، ٣/١٧٠ ، ط٣.

الكريمة ، فقيل :

١- المحكمات بالبيان والمتشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني.

٢- المحكمات : المعمول بهن وهن الناسخات أو المثبتات للأحكام كالحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن.
والمتشابهات : المتروك العمل بهن المنسوخات.

٣- المحكمات : ما أحكم الله تعالى فيه بيان حلاله وحرامه.
والمتشابه : ما أشبه بعضه بعضًا في المعاني وإن اختلفت ألفاظه.

٤- المحكمات : مالم يحتمل من التأويل غير وجه واحد.
والمتشابه : ما احتمل من التأويل أوجهًا.

٥- المحكمات : ما أحكم الله عز وجل فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد ﷺ وأمته.
والمتشابه : هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصه باتفاق الألفاظ والمعاني.
وقصه باختلاف الألفاظ والمعاني.

٦- المحكمات : ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره .
والمتشابهات : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه.
مثل : ألم . ألمص . ألر. وغيرها[١].

٧- وقال الأصم : المحكم هو الذي يكون دليله واضحًا لائحًا ، مثل ما أخبر الله تعالى به من إنشاء الخلق في قوله تعالى : ﴿ثم خلقنا النطفة علقة ﴾[٢] ، وقوله : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [٣]، وقوله : ﴿ وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم﴾[٤].
والمتشابه : ما يحتاج في معرفته إلى التدبر والتأمل نحو

---

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، ٣/١٧٠-١٧٦.
(٢) سورة المؤمنون ، رقمها ٢٣ : الآية ١٤.
(٣) سورة الأنبياء ، رقمها ٢١ : الآية ٣٠.
(٤) سورة إبراهيم ، رقمها ١٤ : الآية ٣٢.

الحكم بأنه تعالى يبعثهم بعد أن صاروا ترابًا ولو تأملوا لصار المتشابه عندهم محكمًا لأن من قدر على الإنشاء أولاً قدر على الإعادة ثانيًا[١].

يقول الرازي : (لما كان القرآن مشتملاً على المحكم والمتشابه ، افتقروا إلى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه.

ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة.

فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد) [٢].

ومجموع هذه الأقوال تفيدنا أن جميع آيات القرآن الكريم محكمة متقنة لا تناقض بينها ولا اختلاف.

لأن جميعها يفهم المراد منه إما :

عن طريق ظهوره ووضوحه ، وإما عن طريق تحصيل علوم وأدوات الفهم الصحيح.

فرد المتشابهات إلى الأصول الواضحات يتضح معناه ويعرف المراد منه.

ولكن يعسر فهمه ويستشكل معرفته ويغيب المراد منه على من لم يعرف اللغة العربية وفروعها معرفة قوية متينة.

وهؤلاء هم الذين توهموا الاختلاف والتناقض بين آيات القرآن الكريم واتخذوا عدم فهمهم للآيات الكريمة سبيلاً للطعن في القرآن الكريم.

ولعل هذا ما يقصد إليه الطبري بقوله :

في بيان قوله تعالى : ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ [٣]

(ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسًا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه) [٤].

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ، ٧/١٨٤.
(٢) المرجع السابق ، ٧/١٨٥ ، ١٨٦.
(٣) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٧.
(٤) انظر تفسير الطبري ، ٣/١٧٦.

وهذا ما يقرره أيضًا الإمام الشاطبي حيث يرى ويوضح :

(أن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضيات العقول ، وإن توهم بعض الناس فيها ذلك، لأن من توهم فيها ذلك فبناء على اتباع هواه ، كما نصت عليه الآية قوله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾[١] ، لا أنه بناء على أمر صحيح، فإنه إن كان كذلك فالتأويل فيه راجع إلى معقول موافق لا إلى مخالف. وإن فرض أنها مما لا يعلمها أحد إلا الله فالعقول عنها مصدودة لأمر خارجي ، لا لمخالفته لها. وهذا كما يأتي في الجملة الواحدة فكذلك يأتي في الكلام المحتوي على جمل كثيرة ، وأخبار بمعان كثيرة ، ربما يتوهم القاصر النظر فيها الاختلاف. وكذلك الأعجمي الطبع الذي يظن بنفسه العلم بما ينظر فيه وهو جاهل به. ومن هنا كان احتجاج نصارى نجران في التثليث ، ودعوى الملحدين على القرآن والسنة التناقض والمخالفة للعقول ، وضموا إلى ذلك جهلهم بحكم التشريع ، فخاضوا حين لم يؤذن لهم في الخوض، وفيما لم يجز لهم الخوض فيه ، فتاهوا.

فإن القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي.

كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له أن يتكلم فيهما ، إذ لا يصح له نظر حتى يكون عالمًا بهما ، فإنه إذا كان كذلك لم يختلف عليه شيء من الشريعة.

ولذلك مثال يتبين به المقصود : وهو أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس فقال له :

إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ..)[٢].

ثانيًا : أن الله عز وجل نفى الاختلاف والتناقض عن القرآن لأنه كلامه عز وجل المنزه عن ذلك

فقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا ﴾[٣]

الفاء تفريع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة المذكور ضمائرهم في الآية السابقة لهذه الآية[٤] ، وهي قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران ، رقمها ٣ : الآية ٧.
(٢) الموافقات في أصول الشريعة ، ج٣/٣٠ ، ٣١.
(٣) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٨٢.
(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ١٣٧/٥.

﴿ ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾[١]

يقول الفخر الرازي : (اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم ، وكان كل ذلك لأجل انهم ما كانوا يعتقدون كونه محقا في ادعاء الرسالة صادقًا فيه ، بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص.

فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته ، فقال : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا ﴾

فاحتج تعالى بالقران على صحة نبوته)[٢].

وهذا يفيد أن الله تعالى تحدى هؤلاء المنافقين بمعاني القرآن الكريم كما تحداهم بألفاظه وبلاغته حيث إن المنافقين قد شكوا في أن القرآن من عند الله تعالى.

ويزداد شكوكهم وتشككهم إذا ظهر لهم شيء من التعارض حسب فهمهم الضعيف وثقافتهم الواهية.

لذلك أمرهم الله تعالى بالتدبر في القرآن الحكيم.

(وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه ، أو لواحقه وأعقابه.

والفاء للعطف على مقدر : أي أيشكون في أن ما ذكر شهادة الله تعالى فلا يتدبرون القرآن الذي جاء به هذا النبي ﷺ المشهود له ليعلموا كونه من عند الله فيكون حجة وأي حجة على المقصود.

وقيل : المعنى : أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه)[٣].

---

(١) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٨١.
(٢) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٠/ ٢٠١ – ٢٠٢.
(٣) انظر روح المعاني ، للألوسي ، ٩٢/٥.

والعلماء قالوا : دلالة القرآن على صدق محمد ﷺ من ثلاثة أوجه:
أحدها : فصاحته.
وثانيها : اشتماله على الأخبار عن الغيوب.
والثالث : سلامته عن الاختلاف.
وهذا هو المذكور في هذه الآية.
وسلامته عن الاختلاف من ثلاثة أوجه :
الأول : أن هؤلاء المنافقون كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد، وكان الله عز وجل يطلع الرسول ﷺ على تلك الأحوال حالاً فحالاً ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل. ولما كانوا يجدون في كل ذلك إلا الصدق ولو كان من عند غير الله تعالى لظهر في قول رسول الله ﷺ أنواع من الاختلاف والتفاوت ، فلما انتفى ذلك ظهر أنه من إعلام الله عز وجل.
الثاني : أن القرآن كتاب كبير ، وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم والمعارف فلو كان من عند غير الله تعالى لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة.
الثالث : أن القرآن سليم عن الاختلاف في رتبة الفصاحة ، فالفصاحة باقية فيه متأصلة من أولـــه إلى آخره على درجة واحدة من البيان الفصيح البليغ المعجز ، وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أنه من عند الله عز وجل. لأنه من المعلوم أن الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة ، فإذا كتب كتابًا طويلاً مشتملاً على المعاني الكثيرة ، فلابد أن يظهر التفاوت في كلامه فيكون بعضه قويًا متينًا وبعضه سخيفًا[1].
وقد وصف الاختلاف بالكثير في الطرف الممتنع وقوعه بمدلول "لو" ليعلم المتدبر أن انتفاء الاختلاف من أصله أكبر دليل على أنه من عند الله عز وجل.
وهذا القيد غير معتبر في الطرف المقابل لجواب "لو" فلا يقدر ذلك الطرف مقيدًا بقوله : "كثيرًا" ، بل يقدر هكذا :

(١) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٣٨/٥.

لكنه من عند الله فلا اختلاف فيه أصلاً[1].
والمقصود من الاختلاف المنفي هو اختلاف التناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر فهذا هو الممتنع على القرآن.
أما اختلاف التلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد.
فهذا غير ممتنع لأنه من تصاريف القول في القرآن ساقطًا نازلاً ، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالى[2].
فقوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾
إما أن يكون عطفًا على الجملة الاستفهامية ﴿ أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيكونوا أمرًا بالتدبر في تفاصيله ليتحصلوا على أنه من عند الله عز وجل لما يقفون عليه من التوافق والتلاؤم والانسجام بين آياته وكلماته.
وذلك يبطل ما توهموه فيه من الاختلاف والتناقض.
ويجوز أن تكون جملة : ﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾ حالاً من "القرآن" ويكون قيدًا للتدبر أي ألا يتدبرون ويتأملون انتفاء الاختلاف عنه فيعلمون أنه من عند الله تعالى[3].
ومن توهم في القرآن الحكيم اختلافًا وتناقضًا فإن وهمه هذا ناشئ من قصر نظره وفساد طبعه وعدم علمه وجهله بحكم التشريع ومسيرة الدعوة الإسلامية.
ثالثًا : أن الله عز وجل نفى نفيًا قاطعًا أن يتطرق إليه الباطل من أي ناحية
يقول تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[4]
فهاتان الآيتان قد أتيا بعد الآية السابقة لهما في سورة "فصلت" وهي قوله تعالى : ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ، ٢٠٢/١٠.
(٢) المرجع السابق ، ٢٠٢/١٠ ، بتصرف.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ١٣٨/٥ بتصرف.
– وروح المعاني ، للألوسي ، ٩٢/٥.
(٤) سورة فصلت ، رقمها ٤١ ، الآيتان ٤١ ، ٤٢.

بصير﴾[١].

وهي تتضمن تهديد ووعيد الملحدين في آيات الله تعالى الكونية والانصراف عن دلالتها والإلحاد في الآيات القولية بالعدول عن سماعها والطعن في صحتها وصرف الناس عن سماعها.

ثم أعقب الله تعالى تهديد الكفار الملحدين بتهديدهم على كفرهم بالقرآن العظيم فهو المراد بالذكر.

والكفر بالقرآن يشمل إنكار كل ما يوصف به القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى وما اشتمل عليه مما خالف معتقدهم وشركهم.

(وجملة ﴿ وإنه لكتاب عزيز﴾ في موضع الحال من الذكر ، أي كفروا به في حاله هذا.

ويجوز أن تكون جملة : ﴿ وإنه لكتاب عزيز﴾ معطوفة على جملة: ﴿ إن الذين كفروا بالذكر﴾ على تقدير خبر (إن) المحذوف.

وعلى كل فقد جيء بهذه الجملة لتعظيم القرآن الكريم ووصفه بكل كمال.

فقد وصف الله عز وجل القرآن بستة أوصاف ما منها واحد إلا وهو كمال عظيم :

الوصف الأول: أنه ذكر ، أي يذكر الناس كلهم بما يغفلون عنه مما في الغفلة عنه فوات فوزهم.

الوصف الثاني : من معنى الذكر : أنه ذكر للعرب وسمعة حسنة لهم بين الأمم يخلد لهم مفخرة عظيمة وهو كونه بلغتهم ونزل بينهم كما قال تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [٢]

وفي قوله : ﴿ لما جاءهم﴾ إشارة إلى هذا المعنى الثاني.

والوصف الثالث : أنه كتاب عزيز ، والعزيز النفيس ، وأصله من العزة وهي المنعة لأن الشيء النفيس يدافع عنه ويحمى من النبذ.

فإنه بين الإتقان وعلوّ المعاني ووضوح الحجة ومثل ذلك يكون عزيزًا.

والعزيز أيضًا : الذي يَغلب ولا يُغلب وكذلك حجج القرآن)[٣]

---

(١) سورة فصلت ، رقمها ٤١ : الآية ٤٠.
(٢) سورة الزخرف ، رقمها ٤٣ : الآية ٤٤.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٣٠٨/٢٤ بتصرف.

ويقول الإمام الفخر الرازي : (والعزيز له معنيان :

أحدهما : الغالب القاهر.

والثاني : الذي لا يوجد نظيره.

أما كون القرآن عزيزًا بمعنى كونه غالبًا ، فالأمر كذلك لأنه بقوة حجته غلب على كل ما سواه.

وأما كونه عزيزًا بمعنى عديم النظير ، فالأمر كذلك لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته) [١].

الوصف الرابع : أن الباطل لا يتطرقه ولا يخالطه فلا يشتمل على الباطل بحال[٢].

وما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلاً ، وما حكم بكونه باطلاً لا يصير حقا. وهو محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه.

ولا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضًا له ، ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضًا له[٣].

الوصف الخامس : أنه مشتمل على الحكمة وهي المعرفة الحقيقية لأنه تنزيل من حكيم ولا يصدر عن الحكيم إلا الحكمة.

وكلام الحكيم يأتي محكمًا متقنًا رصينًا لا يشوبه الباطل ولا يلحقه نقص أو شين.

الوصف السادس : أنه تنزيل من حميد والحميد هو المحمود حمدًا كثيرًا أي مستحق الحمد الكثير.

فالكلام المنزل من الحميد يستحق الحمد لما يتضمنه من الدلالة على الخيرات والصالحات[٤].

وفي ذكر هذه الأوصاف الحميدة المجيدة للقرآن الكريم في مقام الرد على الكفار المنكرين للقرآن والمشككين فيه برهان قوي وحجة بينة على أن القرآن العظيم قد بلغ الغاية القصوى والدرجة العليا من البيان المعجز الذي لا يحلقه نقص أو عيب أو تفكك أو اختلاف أو تناقض أو

---

(١) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٣٢/٢٧.
(٢) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٣٠٩/٢٤.
(٣) التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ١٣٢/٢٧-١٣٣.
(٤) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٣٠٩/٢٤.

غير ذلك مما يتقوله الجهلة الذين لا يفهمونه ولا تستطيع قدراتهم العقلية أن يقفوا على مضامينه ومقاصده وجماله البلاغي البياني لعدم معرفته بلغته ووجوه إعجازه.

رابعًا : تقرير وتأكيد حفظ الله تعالى للقرآن الكريم

لقد قرر الله تعالى وأكد حفظه للقرآن الكريم بمؤكدات متعددة ، وهذا ما يصرح به قوله تعالى في سورة الحجر :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١)

فهذه الآية الكريمة جاءت ردًا على المشركين والمنكرين عندما قالوا على سبيل الاستهزاء والاستخفاف والسخرية : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون. لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ (٢)

فرد الله تعالى عليهم وأبطل استهزاءهم واستخفافهم بقوله تعالى : ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين ﴾ (٣)

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٤)

فأزال الله تعالى جهالتهم وأبطل شبهتهم بقوله تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين﴾

أي لا تنزل الملائكة للناس غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا مصاحبين للعذاب إلحاق على الناس ولو تنزلت الملائكة لعجل للمنزل عليهم عذاب الاستئصال ولم يمهلوا.

ونظير هذا قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكًا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾(٥)

فقد تضمنت الآية الكريمة أمرين :

١- الرد على اقتراحهم وإبطال ما يدعونه ويطلبونه.

٢- تهديدهم ووعيدهم وتخويفهم إذا حصل ما يطلبونه ، ثم جاء قوله تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ لإبطال وتفنيد بعض أقوالهم التي قالوها على سبيل الاستهزاء حيث

---

(١) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٩.
(٢) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآيتان ٦ ، ٧.
(٣) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٨.
(٤) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٩.
(٥) سورة الأنعام ، رقمها ٦ : الآية ٨.

قالوا : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ (١)،

فكان هذا الجواب من نوع القول بالموجب بتقرير إنزال الذكر على الرسول ﷺ مجاراة لظاهر كلامهم.

والمقصود به الرد عليهم في استهزائهم وسخريتهم ، وجاء الجواب مؤكدًا بأن وضمير الفضل "نحن" وإسناد الإنزال إليه سبحانه وتعالى "نزلنا".

أي : نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك القرآن الذي أنكرتموه وأنكرتم نزوله من عند الله عز وجل حيث عموا منزله فبنوا الفعل "نزّل" للمفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له(٢).

ثم زاد ذلك ارتقاء ونكاية لهم بأن منزل الذكر هو حافظه من كيد الأعداء ، فجاء بجملة : ﴿وإنا له لحافظون﴾ معترضة لتقرير وتأكيد الجملة السابقة.

والضمير في "له" للقرآن في قول الأكثر من العلماء(٣).

وقد عبر الله عز وجل عن صيانته وحراسته للقرآن الكريم بالحفظ (لحافظون) وهذا مستفاد من قوله تعالى : ﴿ فالله خيرٌ حافظًا ﴾(٤).

فمن أسمائه تعالى الجليلة "الحفيظ".

والحفيظ بمعنى الحافظ فعيل بمعنى فاعل.

(وللحفظ معنيان : أحدهما : ضد السهو والنسيان ، ويرجع معناه إلى العلم ، فهو تعالى حفيظ للأشياء بمعنى أنه يعلم جملها وتفاصيلها علمًا لا يتبدل بالزوال ، والسهو والنسيان.

والثاني : الحفظ الذي هو ضد التضييع وهو حراسة ذات الشيء ، وجميع صفاته وكمالاته عن العدم) (٥).

ومن هذا المعنى نشأ حفظه تعالى لكتابه العزيز القرآن الكريم ، فقد حفظه وصانه من التخريف والتبديل والتغيير وصانه من الاختلاف والتناقض على مر الدهور والعصور.

فبقي محفوظًا مصونًا كل هذه القرون الممتدة من يوم نزوله على

---

(١) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٦.
(٢) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لابن السعود ، ٦٨/٥.
(٣) انظر تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ٤٤٧/٥.
(٤) سورة يوسف ، رقمها ١٢ : الآية ٦٤.
(٥) لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، ٢٥٦.

رسول الله ﷺ.

وليس حفظه ينحصر فقط في حفظه من التحريف والتغيير والزيادة والنقص وأمثال ذلك.

بل إن الحفظ يعم ويشمل حفظ القرآن من كل ما يقدح فيه.

فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ومن كل شيء يخل بشأنه.

وقد كان هذا خاصة من خصائص القرآن العظيم وميزة أفرده الله تعالى بها عن غيره من الكتب السابقة.

حيث إن الله عز وجل تكلف حفظه بذاته سبحانه وأكد نزوله من عنده عز وجل.

أما غيره من الكتب كالتوراة مثلاً فإنه سبحانه وكل حفظها إلى الربانيين والأحبار ، وهذا ما يقرره ويصرح به قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ..﴾[١]

فقوله : ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله﴾ أي استودعوا من علمه ، فالباء متعلقة بالربانيين والأحبار كأنه قال : والعلماء بما استحفظوا أو متعلقة بقوله "يحكم" أي يحكمون بما استحفظوا[٢].

(ومن لطائف القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد ما حكاه عياض في المدارك عن أبى الحسن بن المنتاب ، قال : كنت عند إسماعيل يومًا ، فسئل لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟

فقال : لأن الله تعالى قال في أهل التوراة : ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ فوكل الحفظ إليهم ، وقال في القرآن : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٣] فتعهد الله بحفظه فلم يجز التبديل على أهل القرآن.

قال : فذكرت ذلك للمحاملي ، فقال : ما سمعت كلامًا أحسن من هذا)[٤].

---

(١) سورة المائدة ، رقمها ٥ : الآية ٤٤.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ١٨٩/٦.
(٣) سورة الحجر ، رقمها ١٥ : الآية ٩.
(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض ، ٤/ ٢٨٣.
- انظر تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٢٠٩/٦.

وفي سبك الجملتين : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى.

وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ واستمراره[١].

هذا والمتدبر في الآية الكريمة يقف على أنها تتضمن ما يأتي :

١- تأكيد وتقرير أن القرآن العظيم منزل من عند الله عز وجل.

٢- تأكيد وتقرير أن الله عز وجل قد ضمن حفظ القرآن الكريم وحراسته وصيانته في كل وقت فلا يعتريه نقص أو زيادة أو تبديل أو اختلاف أو تناقض.

٣- أن القرآن لو كان من قول البشر لتطرق إليه ما تطرق لكلام البشر من تبديل وتغيير أو اختلاف أو تناقض كما قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾[٢].

٤- أن الله عز وجل قد حقق للقرآن العظيم كل عوامل الحفظ والصيانة.

فسخر له من يحفظونه في صدورهم من لدن رسول الله ﷺ إلى اليوم.

وسخر له من يحفظونه كتابة من عصر النبوة إلى اليوم إلى يوم القيامة.

وألهم المسلمين وحببهم في تعلمه وتعليمه والقيام في صيانته وحراسته ورد الأباطيل وتفنيد الشبهات عنه.

يقول الألوسي : (فالمختار أن حفظ القرآن وإبقاءه كما نزل حتى يأتي أمر الله تعالى ، بالإعجاز وغيره مما شاء الله عز وجل.

ومن ذلك توفيق الصحابة رضي الله تعالى عنهم لجمعه)[٣].

ويقول الفخر الرازي : (واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف و التغيير ، إما في الكثير منه أو في القليل.

- والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لابن عجيبة ، م٢/ج٦/٤٣.
(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي مسعود ، ٦٩/٥.
(٢) سورة النساء ، رقمها ٤ : الآية ٨٢.
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي ، ١٦/١٤.

وبقاء هذا الكتاب مصونًا عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات.

وأيضا أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظًا عن التغيير والتحريف ، وانقضى الآن قريبًا من ستمائة سنة فكان هذا إخبارًا عن الغيب ، فكان ذلك أيضًا معجزًا قاهرًا) (١).

فهذا كلام الرازي المتوفى سنة ٦٠٤هـ ، ونحن اليوم في القرن الخامس عشر الهجري عام ١٤٢٤ هـ ومازال القرآن الكريم محفوظًا مصونًا لم تلحقه أي شائبه نقص أو زيادة أو اختلاف.

فسبحان من تولى بذاته حفظ كلامه وكتابه.

فجميع هذه الأدلة النقلية والبراهين القرآنية تدعم وتوثق التأكيد على أن القرآن كلام الله عز وجل المعجز لم يلحقه تناقض ولا يتضمن اختلافًا أو اضطرابًا لأنه كلام رب العزة والقوة الله سبحانه وتعالى.

الأدلة العقلية على خلوّ القرآن الكريم من الاختلاف والتناقض

أولاً : إن المتتبع لمسيرة الدعوة الإسلامية من مبعث رسول الله ﷺ إلى انتقاله للرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام يرى أن المشركين والكفار المعاندين لدعوته والمجدين في صد الناس عن الإسلام وعن الرسول وعن القرآن لم يتقولوا على القرآن ولم يقولوا عنه – مع كثرة طعونهم وتعدد شبهاتهم – لم يقولوا عنه أنه متناقض في أسلوبه أو متعارض في موضوعاته أو مختلف مضامينه.

مع إنهم هم العرب الأصليون الذين أخذت عنهم كل جوانب اللغة العربية الفصحى وهم أهل البيان والبلاغة الذين أخذ عنهم كل أصول اللغة وتنوع أساليبها الفصيحة البليغة.

فإذا كان العرب هؤلاء لم يغمزوا القرآن ولم يشككوا بكونه متناقضًا مختلفًا فهذا من أكبر الأدلة على كون القرآن الكريم خاليًا من كل تناقض أو اختلاف.

ثانيًا : إن القرآن الكريم من يوم نزوله على رسول الله ﷺ إلى اليوم بقى مصونًا محفوظًا لم تتبدل فيه كلمة ولم تتغير فيه جملة مع كثرة الظروف والملابسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب العظيم في خلال خمسة عشر قرنًا من الزمان.

---

(١) تفسر الفخر الرازي ، ١٦٥/١٩.

ثالثًا : لقد تكاثرت الفتن وتعددت الفرق وتكالبت الأحداث وتغايرت الآراء واختلفت التوجهات ، وذهبت كل فرقة تبحث عن دليل لمذهبها في القرآن.

واستطاعت هذه الفرق على اختلاف توجهاتها ومعتقداتها أن تؤول معاني النصوص القرآنية.

وأن تحاول توجيه النصوص لتأييد ما ترغب إليه من أحكام ومفاهيم، ومع هذا فقد عجزت جميعها أن تغير شيئًا من نصوص القرآن العظيم ، أو تحدث حدثًا واحدًا في ألفاظه أو كلماته أو جمله ، بل بقيت نصوصه الربانية الحكيمة كما أنزلها الله تعالى حجة باقية وبرهانًا ثابتًا يشهد بربانية هذا الذكر المصون المحفوظ من الله عز وجل العزيز الحكيم.

رابعًا : وظل القرآن الكريم محفوظًا مصونًا لم يطرأ عليه أي تغيير أو تبديل مع أشد الأزمات وأدنى حالات الضعف التي أصابت المسلمين.

ففي حالات كثيرة وأزمان متفاوتة ضعف المسلمون عن حماية أنفسهم وعن صد الأعداء عن دينهم وعقيدتهم بل عن حماية أرضهم وأعراضهم وأموالهم ، وتألبت عليهم عوامل الفساد والانحلال والمسكنة والمذلة من أعداء الله تعالى وأعداء الإسلام والمسلمين.

ومع هذا بقي القرآن العظيم كما هو لم يتطرق إليه شيء من التحريف أو التغيير أو النقص أو الزيادة.

ولم يستطع أعداء الإسلام تحريف نصوص هذا الكتاب المصون المحفوظ من الله عز وجل ، مع شدة حرصهم على بلوغ هذا الهدف ما وجدوا إليه سبيلاً.

يقول الشيخ سيد قطب : (ولقد بذل أعداء هذا الدين – وفي مقدمتهم اليهود– رصيدهم من تجارب أربعة آلاف سنة أو تزيد في الكيد لدين الله ، وقدروا على أشياء كثيرة.

قدروا على الدس في سنة رسول الله ﷺ وعلى تاريخ الأمة المسلمة ، وقدروا على تزوير الأحداث ودس الأشخاص في جسم المجتمع المسلم ليؤدوا الأدوار التي يعجزون عن أدائها وهم سافرون ، وقدروا على تحطيم الدول والمجتمعات والأنظمة والقوانين.

وقدروا على تقديم عملائهم الخونة في صورة الأبطال الأمجاد ليقوموا لهم بأعمال الهدم والتدمير في أجسام المجتمعات الإسلامية

على مدار القرون ، وبخاصة في العصر الحديث.

ولكنهم لم يقدروا على شيء واحد – والظروف الظاهرية كلها مهيأة له – لم يقدروا على إحداث شيء في هذا الكتاب المحفوظ ، الذي لا حماية له من أهله المنتسبين إليه ، وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع.

فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب ، وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنه حقا تنزيل من عزيز حكيم) [١].

وهذه الأدلة العقلية الواقعية تؤكد وتثبت بقاء القرآن الكريم ودوام حفظه وصيانته كما أنزل من عند الله عز وجل وتبطل دعاوى المبطلين والملحدين والمتشككين فيه ، والمتقولين عليه.

وهذا ما يقرره ويدعمه قوله تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٢].

وقولـــه تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[٣].

---

(١) انظر في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ٢١٢٨/٤ ، ٢١٢٩.
(٢) سورة التوبة ، رقمها ٩ : الآيتان ٣٢ ، ٣٣.
(٣) سورة الصف ، رقمها ٦١ : الآيتان ٨ ، ٩.

الخاتمة

بعد بيان جوانب هذا الموضوع الذي وفقني الله عز وجل لدراسة الجوانب السابقة استخلص من هذه الدراسة الأمور الآتية :

أولاً : إن أعداء الإسلام منذ نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهم يتربصون به الدوائر ويوجهون إليه حربًا شعواء وشكوكًا وشبهات باطلة يقصدون بذلك صد الناس ومنعهم عن الإيمان به.

ثانيًا : إن موضوع موهم الاختلاف والتناقض هو من الجوانب المهمة التي اتخذها المبطلون والملحدون ذريعة إلى إشاعة الشبهات والتشكيكات في القرآن العظيم.

ثالثًا : إن العلماء منذ عصر التدوين بل منذ عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يقومون بتوضيح ودراسة وجوه التوفيق بين الآيات التي ظاهرها التعارض والاختلاف.

رابعًا : لقد ظهر لي من دراسة هذا الموضوع أن أسباب إيهام التناقض والاختلاف تنحصر فيما قاله الإمام الزركشي ونقله عنه الإمام السيوطي وإنما تتعدى ذلك إلى جوانب أخرى مثل التشابه اللفظي والتشابه المقابل للمحكم ومشكل القرآن وغير ذلك من الجوانب التي أوضحتها في ثنايا البحث.

خامسًا : إن الأدلة القرآنية الصريحة والواضحة والكثيرة المتعددة تتضمن بيان نفي الاختلاف والتناقض بين آيات الكتاب الحكيم إذا فهمت الفهم الصحيح الناشئ من الإيمان الصادق بالله وبالقرآن وبالرسول ﷺ وبالإسلام عامة.

سادسًا : إن المبطلين والمنكرين والمتقولين على القرآن بأنه متناقض أو مختلف هؤلاء حجب عنهم فهم القرآن بسبب كفرهم وبسبب عدم معرفتهم باللغة العربية وبسبب عدم فهمهم لأساليب اللغة العربية وبيانها وبسبب عدم وقوفهم على تصاريف القول في القرآن وعدم وقوفهم على قرائن وأحوال نزوله على رسول الله ﷺ.

سابعًا : إن العقل الناضج والفكر الصائب والفهم الدقيق يستطيع أن يقف على أدلة كثيرة وبراهين عقلية منيرة على أن القرآن لم ولن يتضمن أي اختلاف أو تناقض ، وأن القرآن بقي محفوظًا من أن يتطرق إليه أي أمر من هذه الأمور التي يثيرها أعداء الله وأعداء الإسلام بين الفينة والفينة ، وبخاصة في حالات الضعف التي يبتلى بها

المسلمون.

والله أسأل أن يحفظ دينه الإسلام ، وأن يحفظ كتابه القرآن ، وأن يحفظ مقام نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن يعز المسلمين وينصرهم في كل زمان ومكان ، والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر : مكتبة (مطبعة) المشهد الحسيني ، القاهرة.

٢- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، الناشر : دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م.

٣- الأعلام ، تأليف خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية.

٤- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، للإمام أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق : أبي عبدالرحمن عادل بن سعد – أبي إسحاق السيد بن محمود بن إسماعيل ، الناشر : مكتبة الرشد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة ، تحقيق وتعليق : أحمد عبدالله القرشي ، الناشر : مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، وهذا الكتاب طبع تحت عنوان: أسرار التكرار في القرآن ، لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، دراسة وتحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٨- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية.

٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق : الأستاذ محمد علي النجار ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

١٠- تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ- ١٩٩٩م.

١١- تاريخ بغداد ، للحافظ أبى بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

١٢- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، الناشر : دار التراث، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تاليف : القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، الناشر:مطبعة فضالة ، المحمدية ، المملكة المغربية.

١٤- تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، الناشر: دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٥- تفسير البغوي "معالم التنزيل " ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبالله النمر -عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، الناشر: دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣.

١٦- التفسير البياني للقرآن الكريم ، للدكتورة عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" ، الناشر: دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة.

١٧- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

١٨- تفسير التحرير والتنوير ، للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الناشر : الدار التونسية، تونس ، ١٩٨٤م.

١٩- التفسير الصحيح ، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ،

للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ، الناشر : دار المآثر ، المدينة النبوية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٠- تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢١- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، رقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢٢- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

٢٣- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، للإمام عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبى حاتم ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة - والرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢٤- تفسير القرآن الكريم ، للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : الدكتور مصطفى مسلم محمد ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٥- التلخيص ، للحافظ الذهبي ، بذيل المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.

٢٦- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس بهامش القرآن الكريم ، لأبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي ، الناشر : دار الأشراف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشار عواد

معروف ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة : مصطفى البابي الحلبي - بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

٣٠- الجامع لشعب الإيمان ، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، الناشر : الدار السلفية ، بومباي، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣١- الحادي للفتاوي ، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٣٢- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للشيخ الإمام أبى عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي ، طبع بمطبعة محمد محمد مطر الوراق بالحمزاوي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.

٣٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام جمال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطي، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٤- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، تأليف العلامة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي ، مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥هـ.

٣٥- ديوان جرير ، الناشر : دار صادر ، بيروت.

٣٦- روح المعاني في تفسر القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، الناشر : المكتب الإسلامي ، دمشق وبيروت ، الطبعة الأولى.

٣٨- سنن الترمذي ، للإمام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣٩- سنن الدارمي ، للإمام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٤٠- السنن الكبرى ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، الناشر : دار الفكر.

٤١- سنن النسائي ، الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان.

٤٢- شرح مشكل الآثار ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٣- صحيح البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الباري الجعفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- صحيح مسلم ، للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه : محمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م.

٤٥- ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٦- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبدالباقي ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه

وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

٤٧- فتح البيان في مقاصد القرآن ، لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، الناشر : إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٤٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، لشيخ الإسلام الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، راجعه وعلق عليه : الشيخ هشام البخاري – الشيخ خضر عكاري ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٥٠- في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، الناشر : دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة المناوي ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٥٢- قواعد التفسير "جمعًا ودراسة" ، لخالد بن عثمان السبت ، الناشر : دار ابن عفان ، الخبر، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.

٥٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، الناشر : دار الفكر.

٥٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكري حياني ، صححه ووضح فهارسه : الشيخ صفوة السقا ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٥٥- لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق : عبدالله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي ، الناشر : دار المعارف ، مصر.

٥٦- لسان الميزان ، للإمام أحمد بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن حجر العسقلاني ، تحقيق : غنيم بن عباس غنيم ، الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، شبرا ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٥٧- لطائف الإشارات "تفسير صوفي" ، للإمام القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه: الدكتور إبراهيم بسيوني ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.

٥٨- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، راجعه وقدم له وعلق عليه : طه عبدالرؤوف سعد ، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبى بكر الهيثمي ، الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري – السيد عبدالعال السيد إبراهيم، الطبعة الأولى، الدوحة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٦١- المستدرك على الصحيحين ، للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.

٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الناشر : دار الفكر العربي.

٦٣- مشكاة المصابيح ، تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ودمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٦٤- المصنف ، للحافظ أبى بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٥- المصنف في الأحاديث والآثار ، للحافظ عبدالله بن محمد بن أبى شيبة ، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ،

لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٦٦- المطالب العالية بزائد المسانيد الثمانية ، للإمام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : أبى بلال غنيم بن عباس بن غنيم - وأبي تميم : ياسر بن إبراهيم بن محمد ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٦٧- معجم البلدان، لشهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، الناشر: دار صادر ، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٦٨- المعجم الكبير ، للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السلفي ، الناشر : مطبعة الزهراء الحديثة بالموصل ، العراق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : مطابع الشعب ، ١٣٧٨هـ.

٧٠- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى - أحمد حسن الزيات - حامد عبدالقادر- محمد علي النجار ، مطبعة مصر ، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

٧١- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، الناشر: دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٧٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي ، تحقيق : الدكتور محمود كامل أحمد، الناشر : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٣- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى- مصر ، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٧٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر : دار الفكر.

٧٥- النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته : علي محمد الضباع ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

٧٦- النكت والعيون تفسير الماوردي ، تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه : السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، الناشر: المكتبة الإسلامية ، بيروت.